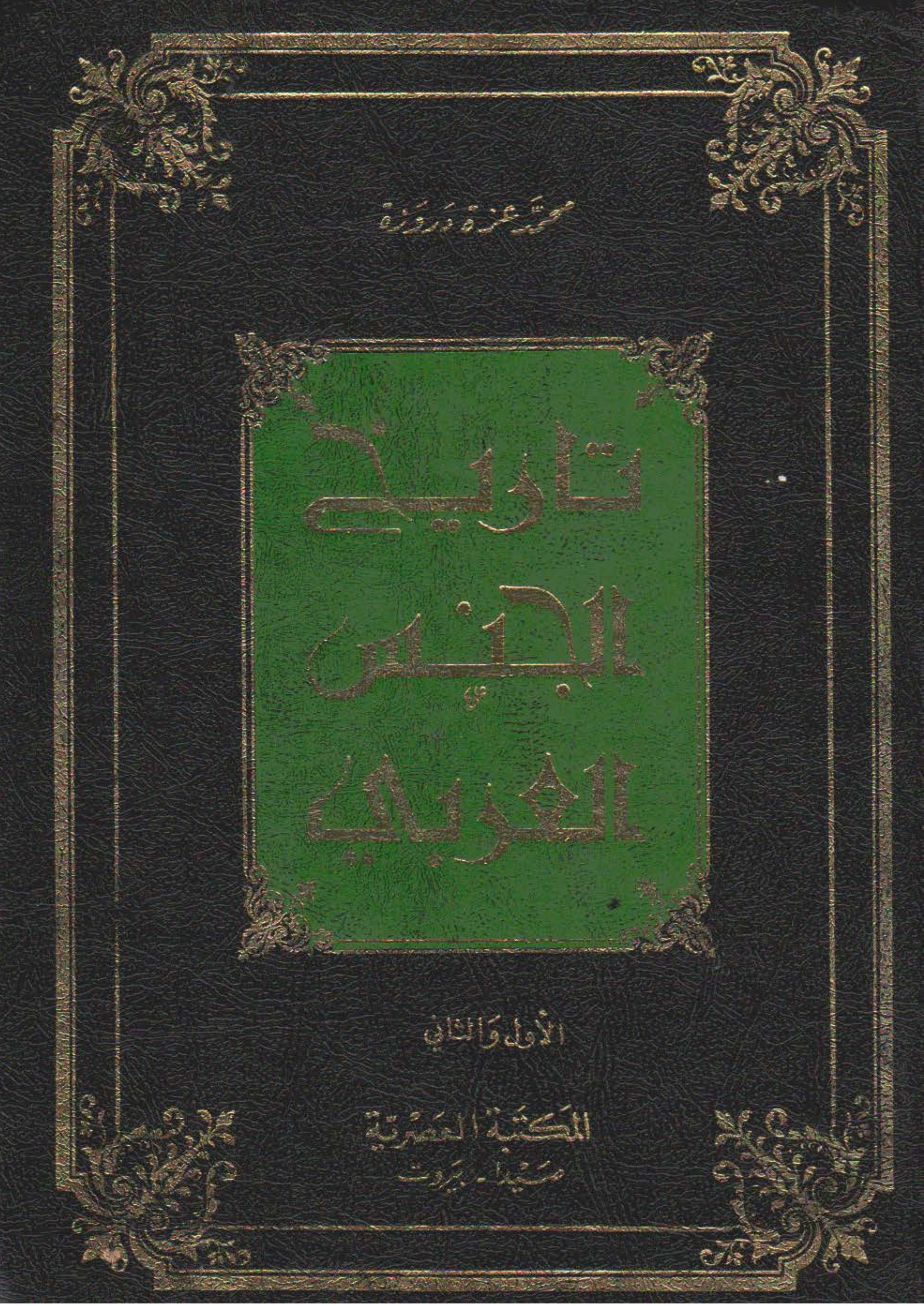

محمد عزة دروزة
تاريخ الجنس العربي
الأول والثاني
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

تاريخ الجنس العربي

في

مختلف الأطوار والأدوار والأقطار

تأليف

محمد عزة دروزة

الجزء الأول

المقدمة وتاريخ الجنس العربي ومآثره في جزيرة العرب
قبل طور العروبة الصريحة

الطبعة الاولى

منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

اجزاء الكتاب وموجز مشتملاتها

اقترح الناشر ان ينشر الكتاب اجزاء صغيرة يشتمل كل جزء منها على فصل اوفصلين ليسهل طبعه وانتشاره .

ونزل المؤلف على رأيه فجعل الكتاب اثنى عشرجزءاً وهذاموجز مشتملاتها :

الاول : مقدمة الكتاب وابحاث تمهيدية في نشأة الجنس العربي ومصادرتاريخه ومآثره فيها قبل دور العروبة الصريحة .

الثاني : الموجات العربية الى وادى النيل ومآثرها فيه قبل العروبة الصريحة .

الثالث: = = = العراق = = = = = =

الرابع : = = = بلاد الشام = فيها = = =

الخامس : مظاهر بروز العروبة الصريحة في جزيرة العرب وخارجها وتاريخ العرب ومآثرهم في الجزيرة في هذا الدور .

السادس : الموجات العربية الى بلاد العراق والشام ومآثرها فيها في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام

السابع : الرسالة الاسلامية واثرها الخالد في الجنس العربي . والحركة العربية الاسلامية في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين

الثامن : الحركة العربية الاسلامية في عهد الدولة الاموية الشامية والدولة الأموية الاندلسية .

التاسع : الحركة العربية الاسلامية في شمال افريقية في ظل الدول العربية والبربرية الى اليوم مع توزع القبائل العربية

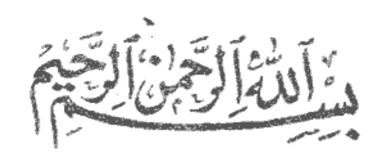
العاشر : الحركة العربية الاسلامية في ظل الدولة العباسية والدول غير العربية التي قامت في بلاد الشام والعراق ومصر في ظلها وبعد زوالها .

الحادي عشر :الدول والامارات والأسر الاقطاعية العربية التي قامت في بلاد الشام والعراق في ظل السيادة التركية .

الثاني عشر: تموج القبائل العربية وتوزعها في بلاد العراق والشام ووادي النيل وما كان لها من مظاهر بروز في ظل السيادة التركية وبعدها

الثالث‌عشر : جزيرة العرب ودولها وقبائلها في العهدالاسلامي الى اليوم ونشؤ الدول العربية الحاضرة في بلاد الشام والعراق ووادى النيل ومظاهر تطورها مع ملحق برسالة الجنس العربي في الدنيا

وسيتراوح عدد صفحات الاجزاء بين ١٢٠ و٢٥٠ صحيفة ومن الله العون والتوفيق ؟



المقدمة

يحتل الجنس العربي مكاناً فريداً بين الاجناس البشرية القائدة الهادية ذات الحيوية العظيمة .

ولقد اختصه الله برسالته الداعية اليه المرشدة الى الحق والخير وصلاح الانسانيةفكان من آثارها اعتناق النصف المتمدن من البشر لها .

ولقد ازدهرت حضارته وثقافته فشعت على الكون وامدت البشرية بنورها الوهاج وما تزال .

ولقد كانت رسالة الاسلام التي جاءت رسالة الانسانية الكاملة الشاملة واحتوت من المبادىء والحوافز ما يكفل سعادة البشر وصلاحهم وهدايتهم ما دامت الدنيا ذات اثر عظيم فيه بنوع خاص فطبعته بطابعها المقدس الخالد ، واثارت حيويته على اعظم مقياس ، وجعلته يحرر تحت رايتها اقطاراً شاسعة امتدت في الغرب حتى بلغت البحر الاطلاسي وشملت جميع شمال افريقية وقسماً من جنوب اوروبا وغربهاوتهيأ للتوغل فيها ، وفي الشرق حتى بلغت الهند والصين وتهيأ للتوغل فيهما كذلك وشملت بعض اقسامهما بالاضافة الى جميع بلاد الافغان والبلوج وايران وتركستان وبلاد الشام والعراق وجزيرة العرب وجنوب الاناضول ، وفي الشمال حتى بلغت بحر قزوين وما وراء القفقاس ، وفي الجنوب حتى شملت معظم وادي النيل ، ويخرج اهلها من الظلمات الى النور ويصبغها بصبغة الاسلام والعروبة ؛ ولو طال عمر الدولة الاموية الشامية الذي انقصف من غير انحلال بسبب المآرب الشخصية لفريق من العرب وتآمره مع الحاقدين والموتورين من العناصر الاعجمية مما ادى الى اندحار العرب عن القيادة واضعافهم لكان من المحتمل جداً ان يتسع النطاق حتى تشمل رسالة الاسلام والعروبة جميع المعمور ويتغير مجرى التاريخ .

ولقد كان هذا الجنس يتعرض من آن لآخر وقبل الاسلام وبعده لخطوب وهجمات

وزحف فتساعده حيويته العظيمة على الصمود لها والتغلب عليها . وها هو اليوم يستيقظ من هجعته ليستأنف نشاطه ورسالته .

فهو من كل اعتبار جدير بان يعتني بتاريخه اعظم عناية ليكون فيه العظة والقوة والمدد لناشئته في دور يقظته الحديثة .

ولقد كتب في الخمسين سنة الاخيرة فضلا عما قبلها كتب كثيرة في تاريخ هذا الجنس قبل الاسلام وبعده . ولكن لم يأت اي منها سلسلة تامة الحلقات ينتظم فيها اطراف هذا التاريخ من فجر التاريخ الى اليوم ويبرز فيها خصائصه ومآثره في مختلف الاطوار والادوار والاقطار .

وقد رأينا من المفيد بعد ان اصدرنا سلسلة كتابنا « حول الحركة العربية الحديثة » ان نكتب كتاباً جامعاً باسلوب يسد هذا النقص ويصل الحركة العربية القديمة بالحركة العربية الحديثة .

ولقد كتبنا منذ ثلاثين سنة بعض الفصول في تاريخ الجنس العربي بعنوان « نظرات في النزاع العنصري بين العرب وغيرهم » ، وكانت الخطة التي رسمناها ان تكون هذه الفصول كتاباً يتناول تاريخ العرب وموجاتهم ومآثرهم وما سجل التاريخ من حركاتهم ونشاطهم وصلاتهم ونزاعهم مع العناصر الاخرى قبل الاسلام وبعده الى آخر الدولة العباسية ؛ ثم شغلتنا الشواغل عن اتمام الفصول كتاباً ونشره .

وقد رجعنا الى تلك الفصول منذ سبع سنين فوجدنا كثيراً منها ما يزال صالحاً للنشر ومفيداً ومتسقاً في الوقت نفسه مع الفكرة التي رأيناها ؛ فعكفنا منذئذ على اعادة النظر في هذه الفصول على ضوء ما كان لنا من تتبعات وصار لنا من معارف وآراء جديدة ، واعدنا كتابتها بتوسع وتسلسل حتى اتسق منها هذا الكتاب الذي اشتمل على ثلاثة اقسام يتناول اولها مآثر ونشاط الجنس العربي في جزيرة العرب وخارجها قبل ان يكتسب شخصيته العربية الصريحة بصورة حاسمة ، او بعبارة اخرى قبل ان تصبح العربية الصريحة لغة له واسم العرب علماً عليه ؛ ويتناول ثانيها مآثر ونشاط هذا الجنس في الجزيرة وخارجها بعد ان اكتسب شخصيته العربية الصريحة قبل الاسلام ؛ ويتناول ثالثها مآثر ونشاط هذا الجنس في الجزيرة وخارجها كذلك بعد الاسلام الى يومنا هذا .

ومن الحق أن نقول ان الكلام على الاقسام الثلاثة التي تناولها الكتاب يتحمل سلسلة ضخمة من الاجزاء اذا اريد له ان يكون وافياً . لانه تاريخ آلاف السنين في اقطار عديدة شاسعة .

غير اننا جنحنا الى الاقتضاب فيما هو غير ذي طائل من المادة التاريخية ولا يتصل بمقصدنا الذي نوهنا به آنفاً وخاصة في ما هو معروف ومشهور منها ، واكتفينا بالمامات حرصنا على ان تكون مع ذلك وافية ما امكن لتتبع تاريخ الجنس العـــربي وادواره واطواره ومآثره وصلاته بمختلف الاجناس والاقطار والحركات من اقدم الازمنة الى الآن .

ومن الحق ان نقرر كذلك ان القاريء قد لا يجد في مادة الكتاب التاريخيـــة شيئاً جديداً ، لان معظمها مقتبس من كتب المؤرخين والباحثين في التاريخ العـــام والخاص وتاريخ العرب والاسلام بنوع خاص . وهو امر طبيعي لان مادة التاريخ لا تتجـــدد ولان الذين يكتبونه من جديد انما يقتبس بعضهم عن بعض من الناحية الموضوعية .

وقد توسعنا في القسم الثالث بعض الشيء للفائـــدة التي رأيناها لذلك من حيث ان مآثر الجنس العربي بعد الاسلام وتاريخه ونشاطه كان وما يزال ذا صلة وثيقة بحيـــاة العرب الحاضرة على اختلاف مظاهرها الدينية والاجتماعية والاخلاقية والقوميـة . وقد شرحنا في سياق ذلك مشاهد النزاع والصلات بين العرب والامم الاخرى التي اتصلت بهم بالحرب وبالحياة السياسية والاجتماعية والدينيـــة وما انبثق عنها من آثار وحركات ومظاهر لادراك اسباب ما الم بالعرب وبلادهم طيلة الحقبة الطويـــلة التي اعقبت الدور الذهبي من عهد الدولة العباسية ومظاهر ومشاهد حيوية الجنس العربي التي ساعدته على الصمود امام تلك الآثار والحركات والمظاهر .

وقد جعلنا الحذر رائدنا في ما اقتبسناه من الكتب المتنوعة التي استندت فيما سجلتـــه من احداث على الروايات . وقد حرصنا على هذا خاصة ازاء ما جـــاء في الكتب التي كتبت عن تاريخ صدر الاسلام واحتوت كثيراً من التناقض والاهواء، وعلقنا على نقاط كثيرة بما رأينا حقاً ومن شأنه ان يضع الامور في نصابها .

والجديد في الكتاب هو اولا جمع وتنسيق اطراف تاريخ الجنس العربي ومـــآثره وحركاته وابراز حيويته وخصائصه في مختلف الاطوار والادوار والاقطار وقبل بروز الشخصية العربية الصريحة وبعدها وقبل الاسلام وبعده ، وعرض ذلك بعنوان الجنس العربي في نسق واحد متسلسل قائم على نظرية وحدة هذا الجنس ووجوب جعـــل ذلك اساساً لكتابة تاريخـــه . وثانياً ما عنّ لنا من آراء واستنتاجات وخواطر وتعليقات وتصويبات خاصة بسبيل ذلك . وثالثاً اشتماله على سلسلة متصلة الحلقات لتاريخ الدول والامارات العربية والاسلاميه التي قامت في مختلف انحاء الوطن العربي مستقلة او تحت سيادة اخرى وخاصة الامارات العربية الاقطاعية التي قامت في بلاد العرب في ظـــل

السيادة التركية منذ القرن الهجري الرابـــع . ورابعاً اشتماله كذلك على سلسله متصلة الحلقات لحركة القبائل العربية من بعد الاسلام الى اليوم وانتشارها وتوزعهـا في مختلف انحاء البـلاد العربية . والسلسلتان هاتان خاصة لم تجتمعا في كتاب واحد ونسق واحد الى الآن فيما نعلم .

وكل هذا مما يحقق القصد الذي قصدنا اليه ومما يجعل الكتاب كما نرجو مفيـــداً لمن يريد ان يلم بمختلف حلقات وحركات وتاريخ ومآثر الجنس العربي من اقدم الازمنة الى الآن متصل بعضها ببعض ، وخاصة من الناشئين وغير المتخصصين والمتفرغين الذين هم جمهرة القراء والمثقفين ، والذين لا يجدون الحـــافز والوقت للاطلاع على المطولات ولا سيما العربية القديمة التي كتبت باسلوب من العسير على الكثيرين ان يستسيغوه اليوم .

ونحب ان نستدرك امراً مهماً وهو اننا حينما نقول « الجنس العربي » لا نقصد المعنى الفني الدقيق الذي يتميز به جنس بشري عن جنس آخر بخصائص جسمانية في الدرجـــة الاولى مما كاد ان يكون غير قائم منذ الازمنة التاريخية المعروفـــة بسبب ما حدث من هجرات الامم وتمازجها دماً ومصاهرة وتقاليد وعادات ولغة وافكاراً ، وانما نقصد به المجموعة البشرية التي عاشت في جزيرة العرب منذ اقدم الازمنة التاريخيـــة المعروفـــة وتشاركت في اللغة والافكار والتقاليد حتى صارت بها جنساً واحداً ؛ فلما اخذ ينساح من هذه المجموعة موجات الى المناطق المجاورة للجزيرة كان ذلك التشارك قـــد تم بينها ثم ظل قائماً .

وهذا لا يتعارض كما هو واضح مع احتمال كون المهد الاول لنواة هذه المجموعة ليس جزيرة العرب على ما يقرره بعض الباحثين (١) ولا مع احتمال تكون هـــذه المجموعة في عصور ما قبل التاريخ من عناصر افريقية واسيوية على ما يقرره بعض الباحثين كذلك(٢) . وكل هـــذا بقطع النظر كذلك عن احتمال تكون تلك المجموعة البشرية في جزيرة العرب قبل الازمنة التاريخية بمدة طويلة ، وعن احتمال انسياح موجات منها الى الاقطار المجاورة لها ثم الى ما ورائها قبل الازمنة التاريخية وتوطنها فيها كشمال افريقية مثلا مما لا سبيل الى معرفته معرفة يقينية والكلام عنه بعلم ووثوق .

– ٢ –

والبند الاول من الجديد في الكتاب خاصـــة يهدف فيما يهدف الى تصحيح الخطأ

(١) و (٢) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها .

المشهور الذي يفصل تاريخ الاقوام او الموجـات التي انساحت من جزيرة العرب الى الاقطار المجاورة لها قبل اكتساب الجنس العربي شخصيته العربية الصريحـة عن تاريخ الجنس العربي ، والى عرض هذين التاريخين سلسلة واحدة متصله الحلقات على اعتبار انهما تاريخ جنس واحد .

وهذا منحى جديد في كتابة التاريخ العربي نعتقد انه الاوجـه والاكثر اتساقاً مع المنطق والعلم . فجزيرة العرب لاسباب جغرافية واجتماعية واقتصادية ؛ مما يدخـل في نطاق ذلك الجفاف والجدب والمنازعات القبلية على الماء والكلأ والزعامة الخ . كانت وظلت منذ اقدم الازمنة التاريخية يقيناً وقبلها احتمالا وقياساً ترسل موجاتها الى الاقطار المجاورة لها شمالا وجنوباً ونعني وادي النيل والهلال الخصيب الذي يتكون من بلاد الشام والعراق فتنتشر فيها وتنشىء المدن والقرى والدول وتبدي نشاطـاً في مختلف المجالات وكانت متشاركة في اللغة والافكار والملامح والطبائع .

وظل هذا التشارك قائماً بينها في مختلف الاطوار والادوار مما تؤيده الآثار والوقائع والشواهد وتقريرات العلماء والباحثين على ما سوف نشرحه بعد ؛ حيث يبرر كل هذا اعتبارها جنساً واحداً وعرض تاريخها في سلسلة واحدة . وفي ذلك تصحيح للتوجيـه التاريخي ، وتدليل على امتداد عروبة هذه الاقطار الحـاضرة الى عشرات القرون قبل الاسلام ، واحباط لمكر المستعمرين والمبشرين والمستشرقين المغرضين واعـداء العروبة الذين تتجاوز مكابرتهم كل حد ومنطق ، فيتجاهلون السيل العربي الصريح الذي اخذ يتدفق على بلاد العراق والشام قبل الاسلام وعليها وعلى وادي النيل منذ الفتح الاسلامي الى الآن دون انقطاع ويغمر مدنها وقراها وبواديها استمراراً لما كان يجري قبـل دور العروبة الصريحة والذي تفوق اعداده اعداد سكان هذه البلاد اضعافاً مضاعفة ، والذي يتمثل في كل ناحية من انحاء هـذه البلاد وفي كل مظهر من مظاهر حياتها وتقاليدها ولغتها تمثلا شاملا قوياً ؛ ويحاولون فصل تاريخ سكانها القدماء عن تاريخ الجنس العربي ليوقروا في اذهان سكانها الحاضرين وهن الصلة بينهم وبين العروبة الاصيلة، وليجعلوهم يعتبرون العرب الذين جاؤا الى هذه الاقطار تحت راية الاسلام غزاة كسائر الغزاة الذين طرأوا عليها ووطدوا حكمهم فيها بالقوة العسكرية وحسب ، وكون ما هنالك من فرق هو انهم اعطوا هذه البلاد دينهم ولغتهم كما كان وما يزال يبث همساً تارة وصراحة تارة اخرى في مصر وبعض انحاء بلاد الشام وخاصة في لبنان .

ولقد حكم اليونان والرومان مصر وبلاد الشام الف سنة (٣٣١ ق م ٦٤٠ ب م)

وجاء منهم اليهما وخاصة من اليونانيين الآلاف المؤلفة واستقروا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم ؛ وقد جمع بينهم وبين سكانهما دين واحد هو المسيحية قرابة اربعة قرون . وترجمت الى اليونانية الكتب الدينية المقدسة ، وصارت لغة عبادة وطقوس لكثير من النصارى فيهما ؛ ومع ذلك فانهم لم يستطيعوا ان يفرضوا على مصر وبلاد الشام طابعهم وصبغتهم ، بل لقد كان جمهرة اهلهما يرونهم غرباء عنهم وينقبضون عن معاشرتهم ويعتبرونهم انجاساً (١) ؛ وكذلك شأن الفرس الذين كانت لهم السيادة على العراق اكثر من الف عام ٥٣٨ ق‌م ـ ٦٤٠ ب‌م وكان لمدنيّتهم وثقافتهم انتشار واسع حتى لقد مجسوا كثيراً من اهل البلاد ولكنهم لم يستطيعوا ان يفرضوا عليها طابعم وصبغتهم ؛ في حين ان الموجات العربية الصريحة العروبة التي جاءت الى بلاد الشام والعراق في حكمهم ورضخ ملوكها لسيادتهم العليا اخذت تفرض طابعها على البلاد وتمتزج باهلها بسهولة ويسر ، ثم جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الاسلام الى بلاد الشام والعراق ومصر فاخذ التمازج يشتد بينها وبين السكان السابقين ولم يكد يمضي بضعة اجيال حتى توطدت السيادة في هذه البلاد للطابع العربي الصريح وغدا شاملا عاماً .

وليس هناك تعليل معقول لهذه الظاهرة الا صدق نظرية وحدة الارومة والدم والروح التي كانت تجمع بين القادمين من جزيرة العرب في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام وبعده وبين سكان بلاد الشام والعراق ومصر الذين يمتون في اصولهم الى جزيرة العرب والجنس العربي ؛ حيث سهلت تلك الوحدة ذلك التقارب والتمازج وسيادة الطابع العربي العامة على هذه البلاد .

واذا كان بدا شيء من المناوأة ضد موجة الفتح من بعض سكان مصر والشام والعراق او تمرد على السلطان الاسلامي في اوائل عهده فمرد ذلك الى الاعتبارات الدينية والتحريكات الاجنبية ، وليس من شأنه اضعاف النظرية . ولقد كان من جملة المناوئين والمتضامنين مع الفرس والرومان في بلاد الشام والعراق قبائل عربية صريحة من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان في بلاد الشام (٢) وبكر بن وائل وبني العجل وتيم اللاة وضبيعة في العراق (٣) مثلا .

---

(١) الكافي في تاريخ مصر لشاروبيم ج ١ ص ١٤٦ – ١٤٧ والقرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان ص ٣١٥ وتسريح الابصار لليسوعي لامانس ج ٢ ص ٣٥ – ٣٨ والمجلد الثاني من مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٥٢ والتاريخ العام الكبير لاحمد رفيق ج ١ ص ١١٥ و ج ٢ ص ٢٦١

(٢) الطبري ج ٢ ص ٥٨٧ (٣) نفس المصدر ص ٥٦٠

واذا كان حقاً ان الذين ظلوا في جزيرة العرب قد احتفظوا بنقاوة سلالتهم وأصالة لغتهم اكثر من الذين انساحوا الى خارجها (١) ؛ وان هؤلاء قد اختلطوا بعناصر وأمم اخرى ممن كان في الارض الجديدة التي حلوا فيها وبمن جاء اليها بعد حلولهم واكتسبوا كثيراً من دمائهم ولغتهم وعاداتهم وبالتالي اكتسبوا شخصية خاصة نوعاً ما فان هذا ليس من شأنه ان يخرجهم من جنسية العروبة ويجعلهم امماً غريبة عنها، ويبرر عدم سلك تاريخهم في سلك تاريخ الجنس العربي أسوة بمن ظلوا مستقرين فيها بالنسبة للزمن التاريخي الذي عاشوا جميعهم فيه ؛ لان وجوه التشابه والتشارك بينهم وبين اولئك المستقرين وفيما بينهم أنفسهم على اختلاف الاقطار التي حلوا فيهاوعلى اختلاف الادوار التي عاشوها كذلك ظلت بارزة .

– ٣ –

واوصاف التشارك اللغوي خاصة قوية حتى لتكاد تسوغ وحدها دعوى وحدة الارومة بين الموجات التي خرجت من جزيرة العرب في مختلف ادوار التاريخ القديم وبين الذين بقوا في هذه الجزيرة من الجنس العربي . وهو ما لاحظه الباحثون حيث رأوا وجوه تشابه ظاهرة بين اللغات البابلية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والارامية والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وامثالها من حيث انها تشترك او تتقارب في جذور الافعال وفي تصاريف الافعال وفي زمني الفعل الرئيسيين وهما الماضي والمستقبل او التام والناقص وفي اصول المفردات والضمائر ولا سيما الدالة على القرابة الدموية والاعداد وبعض اعضاء الجسم وفي تغير الحركات وسط الكلمات الذي يحدث تغيراً في المعنى وفي التعابير التي تدل على منظمات الدولة والمجتمع والدين ، فقالوا بوجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل الاقوام الذين كانوا يتكلمون بهذه اللغات واطلقوا على ذلك الاصل او الوحدة « الجنس السامي » وعلى اللغات التي تكلمت وتتكلم بها هذه الاقوام

---

(١) كثير من المستشرقين وفي طليعتهم اولسهوزن يقررون ان اللغة العربية هي اقرب لغات الساميين الى اللغة السامية القديمة الاولى التي تفرعت عنها اللهجات التي تكلمت بها الموجات العربية والاجيال العربية القديمة بسبب انها حافظت على نقاوتها اكثر من اللغات الاخرى التي تأثرت بمن سكن الناطقون بها معهم في البلاد التي حلوا فيها بعد نزوحهم من الجزيرة ، وانها تحتوي عناصر لغوية قديمة جداً بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم بعيدة عما يتوارد عليها من تقلبات وتغيرات يكثر حدوثها وتختلف نتائجها اختلافاً مستمراً في البلدان المتحضرة . (تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ص ٧ وما بعدها)

« اللغات السامية » (١).

ولقد جاء في كتاب الاساس للغات والامم السامية لعطيه الابراشي ورفقاه « بمقارنة اللغات السامية مقارنة لفظية » اتضح للباحثين فيها ان اصول كلماتها واحدة مشتركة كثيراً ما يكون معاني هذه الكلمة لا تغير فيها بمعنى كـــذا في اللغة العربية مثـــلا وبه نفسه في العبرانية او السريانية او اي لغة سامية اخرى . وفي بعض الكلمات ترى الاشتراك اللفظي مع التحوير في المعنى بحيث تكون الكلمة في العربية بمعنى وهي بلفظها في العبرانيـــة او السريانية بمعنى آخر . غير ان العلاقة بين المعنيين لا تلبث ان تبدو ببحث يسير ، وتظهر أن التغير جاء بناء على التطور المعروف في معاني الكلمات . فبالمقارنة اللفظية الفنية اصبح مما لا جدال فيه مطلقاً أن جميع اللغات السامية الداخلة في مجموعة واحدة هي لهجات متقاربة جداً ترجع الى لغة واحدة وان جميع الشعوب التي تتكلم بها هي فروع جنس واحد يرجع إلى جماعة أولى هي أصل هذه الفروع . وبمقارنة لغتين من اللغات السامية مقارنة معنوية ادبية تخرج بنتائج قيمة صادقة في شأن العلاقات التي تربطهما ببعضهما في الشؤون الدينية وانواع الصناعات العملية المكونـــة للحضارة والنظر العلمي الاجتماعي والنظر الفلسفي والمجهود العقلي والتاريخي في حدود الروايات والاساطير والمجهود العقلي والادبي المعبر عن الذوق وسمو الروح (٢)

وجاء في كتاب تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنغستون (٣): تتميز اللغات السامية في بعض أحوالها عن انواع اللغات الاخرى بميزات وخصائص تجعل من كل هـــذه اللغات كتلة واحدة . واهم تلك الميزات ما يلي :

١ ــ تعتمد اللغات السامية على الحروف الصامتة وحدها ولا تلتفت الى الاصوات بمقدار ما تلتفت إلى الصامتة .

٢ ــ أغلب الكلمات السامية يرجع اشتقاقه إلى أصل ذي ثلاثة أحرف أو حرفين .

٣ ــ يسود على اللغات السامية ظاهرة الفعل لان اشتقاقات كلماتها هي في الاصـــل من فعل .

٤ ــ ليس في اللغات السامية أثر لادغام كلمة في أخرى حتى تصير الاثنتان كلمـــة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هي الحال في غيرها .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ج ١ ص ١٤٨

(٢) ص ٤٤ – ٤٥ (٣) ١٤ – ١٥

وهذا هو سبب ظهور الاعراب في اللغة العربية . وهناك شيء من بقايا الاعراب في أغلب اللغات السامية .

وتظهر اوجه الشبه في اغلب اللغات السامية خاصة في الاشياء التي كانت معروفة لهم جميعاً كأسماء الجسم والضمائر حيث هي متقاربة في جميعها تقريباً .

وهناك آلاف المفردات المتقاربة في اللفظ والمعنى في اللغات الاشورية والبابلية والآرامية والعبرانية والكنعانية والسبئية والاثيوبية والمصرية تؤيد ذلك كما ان هناك آلاف الاعلام في بلاد الشام والعراق ومصر وجزيرة العرب متقاربة في اللفظ والمعنى وعليها لمحة العروبة القديمة بادية تؤيد ذلك ايضاً مما سوف نورد نماذج منه في فصول الكتاب .

ونحن نعرف أن هناك من لا يسلم بأن التشارك اللغوي بين الشعوب المسماة بالساميين دليل على وحدة الاورمة بينها ، ويقيس ذلك على الزنوج في اميركا الذين يتكلمون الانكليزية مثل الاميركيين في حين انهم يفترقون عنهم في الجنس يقيناً (١) غير ان هذا منهم تمحل ومن قبيل القياس مع الفارق لان التشارك حينما يكون بين جميع الموجات التي خرجت من الجزيرة واحدة بعد اخرى خلال حقب طويلة متتابعة تبلغ آلاف السنين ثم بينها وبين الذين بقوا في الجزيرة وهو ثابت بالمقارنة يصبح دليلا حاسماً .
ومن هذا القبيل ما يقوله الذين يكابرون وينكرون الصلة بين سكان مصر القدماء وبين جزيرة العرب والجنس العربي برغم تقرير كثير من الاختصاصيين في الآثار المصرية والتاريخ المصري (٢) من ان ما في اللغة المصرية من مفردات عربية لا يصح أن يتخذ

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٦٨

(٢) هناك جمهرة من مؤرخي تاريخ مصر القديم وعلماء آثارها يقولون ان معظم سكان مصر القدماء هم موجات طرات على مصر من جزيرة العرب من طريق باب المندب تارة ومن طريق برزخ السويس تارة وقد عممت لغتها وطبعت مصر بطابعها مثل عالم الاثار المصرية والتاريخ المصري الشهير بريستيد في كتابة تاريخ مصر من اقدم العصور وترجمة حسن كمال ص ١٧ وحسن كمال في كتابه تاريخ السودان القديم ص ٥ واحمد نجيب الاثري في كتابه الاثر الجليل لسكان وادي النيل ص ١٢ واحمد رفيق في كتابه التركي التاريخ العام ج ١ ص ٥٥ وغوستاف لوبون في كتابه الحضارة المصرية ص ١٢ وسفيدج والاسكندري في كتابها تاريخ مصر قبل الفتح وبعده ج ١ ص ٦ – ٧ والابراشي ورفقاه في كتابهم الاساس في اللغات والامم السامية ص ١٥ – ٣٧ وفيليب حتي في كتابه تاريخ العرب ج ١ ص ٧ والعالم الاثري ويجيل في كتابه تاريخ مصر القديمة وعالم الاثار المصرية جوسئاف جيكي في تاريخ المدنية المصرية وهنري بروخ الالماني وهنري جونسون الانكليزي في كتابيهما تاريخ مصر وماسبرو في كتايه تاريخ المشرق. وسنورد موجز اقوالهم في الجزء التالي .

دليلا على وحدة الجنس بين المصريين القدماء والعروبة لان ذلك إنما كان نتيجة للاختلاط الذي وقع بين المصريين والاقوام التي كانت تسكن في الاقطار المجاورة مما يمت في اصله الى جزيرة العرب والجنس العربي ، ويشبهون ذلك بما دخل الى اللغات الانكليزية والافرنسية والاسبانية والتركية والفارسية من الفاظ عربية وما دخل الى اللغة العربية من الفاظ افرنسية وانكليزية واسبانية وتركية وفارسية ورومية نتيجة لمثل ذلك الاختلاط وظروفه . غير ان الامر حينما يكون امر آلاف مؤلفة من الكلمات (١) يكون مثل هذا القول تمحلا اكثر منه علماً وقياساً مع الفارق كذلك . اذ لا يمكن ان تصل الكلمات العربية في اللغات الافرنسية والانكليزية والرومية الى مثل هذه السعة . وقد تكون الكلمات العربية في اللغات الفارسية والتركية والاسبانية استثناء لانها تبلغ فعلا الألوف وخاصة في الفارسية والتركية اللتين غدت العربية عنصراً اساسياً فيهما لا غنى عنه . وسبب ذلك ان العرب قد بسطوا سلطانهم وفرضوا طابعهم ولغتهم على بلاد الفرس والترك وقسم كبير من بلاد الاسبان وشعوبها وصار شأن العرب في ذلك كشأنهم الذي نشير اليه في مصر تقريباً كما هو المتبادر .

على ان التشارك في اللغات التي تكلم بها الاقوام الذين خرجوا من جزيرة العرب الى الاقطار المجاورة لها والذين بقوا فيها ليس هو الدليل الوحيد على وحدة الارومة والمنشأ بينهم . لان هذه الاقوام متشاركة ايضاً في العقائد والتقاليد والملامح والافكار على ما يقرره الباحثون .

ولقد جاء في الجزء الاول من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي (٢) عزواً الى ابرهود شرادر ودي كويه وهربرت كومه وكارل بروكلمن وكينك وجول ل. ماير وكوك ودتلف نلسن ان معظم المدن والقرى التي تكونت في العراق او الشام انما

---

(١) قال العالم الاثري المصري الشهير احمد كمال على ما نقله حسن كمال في كتابه تاريخ السودان القديم ص ٧٧ ان اصل اللغة المصرية واللغة العربية واحد وان الاختلاف الظاهر بينهما ليس الا نتيجة اسقاط بعض كلمات في بلاد العرب وبقائها في وادي النيل او العكس ثم نتيجة لما يعتري الكلمات من القلب والابدال وما يطرأ على اللغات من تغير بمعاملة الاجانب . وقد وضع هذا العالم قاموساً اثرياً فيه نيف وعشرة آلاف كلمة عربية ومصرية متشاركة في المعنى والمبنى للتدليل على ذلك ، وفيه دليل بطبيعة الحال على وحدة المنشأ والارومة بين سكان مصر والعرب وجزيرة العرب . وللمستشرق الالماني ايبر كتاب فيه آلاف الكلمات المصرية والعربية والعبرانية المتشاركة في المعنى والمبنى ايضاً . ونرجو ان نورد جملة من هذه الكلمات في الجزء الثاني من الكتاب في مقام الشاهد .

(٢) ص ١٥١ — ١٥٣

كونها عناصر بدوية استقرت في مواضعها واشتغلت في إصلاح اراضيها وعمرانها واشتغلت بالتجارة فنشأت تلك المدن والقرى من ذلك ؛ وانه لما كان اكثر هذه العناصر البدوية قدجاءت من جزيرة العرب فتكون الجزيرة قياساً على ذلك هي الموطن الذي غذّى الشرق الادنى بالساميين وارسل اليه موجات متوالية منها ؛ وان هناك ادلة دينية ولغوية وتاريخية وجغرافية يستند اليها هؤلاء العلماء في تقرير وحدة الأصل والارومة والمنشأ بين الشعوب التي تنعت بالسامية .

وقد جاء في هذا الجزء نفسه من هذا الكتاب (١) نقلا عن فيلبي صاحب الدراسات المسهبة لاحوال جزيرة العرب ان العربية الجنوبية قد ارسلت موجات متعاقبة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي استقرت فيها . وهاجرت وقد حملت معها كل ما تملكه من أشياء ثمينة . حملت معها آلهتها واولها الاله القمر وحملت معها ثقافتها وخطها الذي اشتقت منه سائر الاقلام ومنه القلم الفينيقي وطبعت تلك الارضين الواسعة التي حلت فيها بهذا الطابع السامي الذي ما زال باقياً حتى اليوم .

ولقد جاء في كتاب « محاضرات في تاريخ العرب » للدكتور احمد صالح العلي (٢) عزواً الى رينان ان الساميين جنس منحدر من أصل واحد مشترك يتميز افراده بتشابه لغاتهم وبتركيب عقليتهم وبنظرتهم الجزئية للاشياء وتأثرهم بالغيبيات وميلهم الى البساطة في التفكير والوحدانية في الدين وان ظهور الاديان الموحدة الثلاثة الكبرى اي اليهودية والمسيحية والاسلام بين الساميين يرجع الى طبيعه تفكيرهم ؛ وان هذه الميزات التي تتصف بها العقلية السامية ترجع الى عوامل بيولوجية ووراثية في الجنس وانهم بذلك يختلفون اساسياً عن الآريين .

وفي نفس الكتاب (٣) عزواً الى ما كتبه كوك في الفصل الرابع من تاريخ كمبردج القديم إنه لوحظ تشابه كبير في اللغة والعادات الاجتماعية والافكار واساليب الحياة بين سكان معظم الشرق الأوسط مما يسوغ الاعتقاد بان ذلك يرجع الى تحدرهم من أصل واحد .

ولقد جاء في كتاب الاساس في الأمم السامية ولغاتها لعطيه الابراشي ورفاقه (٤)

---

(١) ص ١٦٠ – ١٦١

(٢) ص ١ – ٢ (٣) ص ١

(٤) ص ١٥ وما بعد

إنه على أي تقسيم قسمت اللغات السامية فان الحقيقة الكبرى هي أنها لغات جماعة بشرية واحدة كونت جنساً بشرياً واحداً وهو الجنس الذي عرف باسم الجنس السامي والذي عرفت شعوبه باسم الشعوب السامية والتي تحضرت في اطراف جزيرة العرب وفيما وراء هذه الاطراف مع بقاء وحدة التفكير والخيال جامعة بينهما .

فكل هذا وغيره مما سوف نشرحه ونقدم الشواهد عليه في الفصول التالية مبرر قوي لسلك تاريخ الجنس العربي في الجزيرة وموجاته الى الهلال الخصيب(بلاد الشام والعراق) وإلى وادي النيل (مصر والثيوبية الكبرى) قبل دور العروبة الصريحة في سلك واحد كما هو المتبادر .

ولقد سلك جرجي زيدان تاريخ الرعاة والبابليين الذين منهم حورابي في سلك التاريخ العربي وسلك هو وفيليب حتي وجواد علي بل وجميع من كتب تاريخ العرب تاريخ الدول والامارات والشعوب في جنوب جزيرة العرب وشمالها مع دول الانباط وتدمر في بلاد الشام في سلك واحد ولم تكن العربية الفصحى قد غدت لغة لها بل ولم تكن تتسمى باسم العروبة ، وكانت الموجات التي اقامت دولها خارج الجزيرة منها قد كسبت هي الاخرى شخصية خاصه نوعاً ما في الأرض الجديدة التي استقرت فيها وتأثرت فيها بمن كان فيها ومن جاء اليها من غير جنسها . ولا نرى كبير فرق بين ما فعلوه وما نحن بسبيله .

ولقد كسبت الموجات العربية التي خرجت من جزيرة العرب الى بلاد الشام والعراق ومصر وشمالي إفريقية تحت راية الاسلام شخصية خاصة نوعاً ما هي الاخرى في الارض الجديدة التي حلت فيها ، ولم يفصل احد من العرب وغير العرب تاريخها عن التاريخ العربي قبل الاسلام وبعده كما لا يخفى .

– ٤ –

وتسمية الجنس السامي Semitic Race واللغات السامية Semitic languages هي تسمية حديثة وضعها مستشرق نمساوي اسمه ايشهورن سنة ١٧٨١ ب.م. نسبة الى سام بن نوح الذي يذكر سفر التكوين ان الاقوام الذين عاشوا في جزيرة العرب والاقطار المجاورة لها هم من ذريته .

وهي تسمية ليس لها سند من تاريخ وعلم واثار (١) . ومن العجيب انها انتشرت

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٤٩ ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لطه باقر وغيرهما كثيرون يقولون ذلك .

بين علماء الغرب وسرت الى مؤرخي العرب وكتابهم بطريق العدوى الاقتباسية المعتادة مع ان تسمية الجنس العربي واللغات العربية هي على كل حال اصح منها ؛ لأن موطن الاقوام التي سميت بها اي الكلدانيين والعموريين والأشوريين والاكديين والآراميين والكنعانيين والمصريين والاثيوبيين والعرب القدماء والمتأخرون في جنوب الجزيرة وشمالها والاقطار المتاخمة لها التي نوهنا بتشاركها اللغوي والاجتماعي والفكري والديني وسقنا الدلائل والاقوال فيه وما ينتج عنه من وحدة الارومة والمنشأ هو عند جمهرة الباحثين جزيرة العرب (١) ، ولأن هذه الجزيرة اخذت تذكر باسم العروبة الصريح في كتب اليونان والرومان واسفار العهد القديم منذ الفين وخمسمائةسنة ، ولأن اسم العرب الصريح اخذ يطلق على اهلها المستقرين في داخلها وتخومها الشمالية جزئياً ثم شمولياً منذ الفين وخمسمائةسنة كذلك بل وقبل ذلك على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة التي سوف نورد نصوصها في الفصول التالية ، الامر الذي ينطوي على الدلالة على ان هذا الاطلاق وذاك كانا راهنين قبل تدوين المدونات ونقش النقوش ؛ ولأن اللغة التي تكلم بها سكان جزيرة العرب ومواطن العرب الثانية خارجها منذ اكثر من الفي سنة هي اللغة العربية الصريحة بقطع النظر عن تعدد لهجاتها وبعدها قليلا او كثيراً عن اللغة القرآنية الفصحى على ما تدل عليه آثار واسماء وأعلام ونقوش السبئيين والحميريين والنبطيين والتدمريين الذين برزوا في مجال الحضارة والحكم والسلطان داخل الجزيرة وخارجها قبل الميلاد على ما سوف نورده في فصول الكتاب ..

واستمراراً على ذلك الخطأ او نتيجة له فرقوا بين تاريخ جزيرة العرب وسكانها وبين تاريخ الموجات التي انساحت منها في القديم، وجعلوا تاريخ كل موجة بمثابة تاريخ امة مستقلة قائمة بذاتها .

وقليل منهم من قرر هذا الخطأ وأنكره وارتأى تسمية الاقوام العربية لكل من سكن الجزيرة او خرج منها كما فعل جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام حيث

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها و ج ٢ ص ٢٨٧ وما بعدها وتاريخ مصر منذ العصور القديمة لبريستيد وتاريخ العصور القديمة له وتاريخ سورية للدبس مجلد ١ ج ١ ص ٢٥٥ وما بعدها وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون وتاريخ العرب المطول لحتي ج ١ والاساس في الامم السامية ولغاتها للابراشي وعنان ومحرز وتاريخ السودان العام للدكتور حسن كمال والاثر الجليل لسكان وادي النيل لاحمد نجيب والحضارة المصرية لغوستاف لوبون والتاريخ العام بالتركي لاحمد رفيق ج ١

قال في جزئه الثاني (١) إذا أردنا أن يكون كلامنا علمياً أو قريباً من العلم وجب علينا اهمال كلمة « الشعوب السامية » و « الساميين » وتبديلها بكلمة « الشعوب العربيـــة » و «العرب »لان هذه التسمية ملموسة المفهوم بينما تلك اصطلاح مبهم ؛ وكما فعل مؤلفو معالم الحضارات في الشرق والغرب الرفاعي ورفقاه حيث قالوا طغى اسم « الشعوب السامية » على الاقلام بالمعنى الجنسي لسكان جزيرة للعرب والنازحين منها وهي تسمية لا مبرر لها سوى رواية التوراة والاصطلاح الشائـــع ؛ والاصح الذي يتمشى مع المنطق التاريخي أن تسمى باسم « الشعوب العربية »لاننا نجد اسم العرب منذ القديم في الآثـــار البابلية والأشورية والعبريـــة ولان الفرس واليونان والرومان اطلقوا على سكان جزيرة العرب اسم العرب منذ الالف الاول قبل المسيح .

ومع هذا فان مؤلفي هذين الكتابين لم يصروا على التسمية التي صوبوها بحقولم يجروا على مقتضى ذلك من سلك تاريخ سكان جزيرة العرب الاقدمين وتاريخ الموجـــات الآرامية والكنعانية والعمورية والكلدانية والاشورية والمصرية والاثيوبيـــة التي خرجت منهافي سلك واحد ، بل عادوا فاندمجوافي ذلك الخطأواستمروا عليهحيث ظلوا يذكرون من انساح من جزيرة العرب قبل العروبة الصريحة باسم الساميين والشعوب الساميـــة ؛ ويفصلون بين تاريخهم وتاريخ سكان الجزيرة والعرب في دور العروبة الصريحة .

وفعل مثلهم تقريباً مؤلفو كتاب الاساس في اللغات السامية ، فقد جاء في هـــذا الكتاب : «وخلاصة القول إن الجماعة الأولى السامية هي الجماعة العربية وان مهد الساميين الاول هو مهد هذه الجماعة الأصلي وهو نجد والحجاز والعروض واليمن وما والى هذه البقاع ومنها جميعاً ابتدأت الهجرة « السامية » الاولى الى شمال الجزيرة ومشارف الشام والعراق حتى تخوم بلاد ايران ثم إلى بلاد الحبشة ووادي النيل وان الامـــة العربية قديماً وحديثاً هي « الجنس السامي » باكمله وأن منزلة جميع الوحدات « السامية » من العرب منزلة الشعوب المتفرعة عن امة واحدة من دوام الاتصال بين الفرع والأصل وإستمرار المدد من الأصل إلى الفرع وان منزلة اللهجات « السامية » من اللغة العربية منزلة الفروع الدانية من الأصل الواحد» (ص ٣٧ وما بعدها) .

ومما وقع فيه الذين كتبوا تاريخ الشرق العـــربي القديم من التناقض انهم بينما فصلوا تاريخ الموجات العربية في بلاد الشام والعـــراق ووادي النيل عن تاريخ الجنس العربي

---

(١) ص ٢٨٧

جعلوا تاريخ المعنيين والسبئيين ودول اليمن الاخرى وشعوب شمال الجزيرة واماراتها في القرون القديمة في سلسلة هذا التاريخ مع أن هؤلاء لم يوصفوا في اي اثر قديم بصفة العروبة بالتخصيص ، ولم يكونوا اكثر قرباً في لغاتهم وصبغتهم الجنسية بوجه عام الى العرب في دور العروبة الصريحة من الموجات التي انساحت من الجزيرة إلى وادي النيل والهلال الخصيب في تلك القرون ؛ بل كانوا اكثر قرباً الى هذه الموجات على اعتبار تقارب الزمن التاريخي الذي عاشوا فيه جميعاً .

بل هناك ما هو ادعى الى العجب . فقد سلك جرجي زيدان الدولة البابلية التي من ملوكها حورابي ودولة الرعاة في مصر في سلك تاريخ العرب قبل الاسلام في كتابه المعنون بهذا العنوان (١) ، ولم يسلك بقية الدول التي قامت في بابل ونينوى وسواحل بلاد الشام وداخلها وجنوبها والتي يقرر هو بالذات انها من الارومات التي تمت الى جزيرة العرب وتتشارك في اللغة والعادات والافكار كالأشوريين والكلدانيين والآراميين والكنعانيين .

فنحن إذ نسمي كتابنا باسم « تاريخ الجنس العربي » وإذ نسلك تاريخ الاقوام الذين يمتون إلى جزيرة العرب سواء منهم الذين خرجوا منها أم الذين بقوا فيها قبل العروبة الصريحة وبعدها في سلك واحد ، ونقدمه حلقات متصلا بعضها ببعض نتوخى فيما نتوخاه تصحيح هذا الخطأ الشائع وتسمية الامور باسمائها الصحيحةاو ما هو الاوجه والاقرب الى الصحة . وهذا بالاضافة الى ما في ذلك من ابراز سعة نطاق نشاط الجنس العربي وحيويته في مختلف المجالات الفكرية والادبية والحضارية والسياسية والعسكرية وفي مختلف المواطن التي انساح اليها منذ اقدم الازمنة وكانت مصدراً رئيسياً من مصادر الحضارة البشرية التي شعت على العالم من جهة والوصل بين حيوية العروبة في دورها الصريح وبين حيويتها قبل هذا الدور .

— ٥ —

ونحن نعرف ان هناك من باحثي الافرنج من لا يسلم بان جزيرة العرب هي مهد الشعوب التي اطلقوا عليها اصطلاح الشعوب السامية ؛ ومنهم من يقول إن هذا المهد هو جزيرة الفرات او بادية الشام او ارمينية او اثيوبية او يتردد في الجزم . غير ان كثيراً من الباحثين بل اكثرهم يقررون ان هذا المهد هو جزيرة العرب . ومنهم من يخصص جنوب الجزيرة ويقولون ان الشعوب « السامية » انساحت منه الى سائر انحاء الجزيرة ثم الى الاقطار المجاورة لها شمالا نحو بلاد الشام والعراق وجنوباً نحو شواطىء افريقية فاثيوبية ووادي النيل .

---

(١) ص ٤٠ — ٥٢ و ٥٦ — ٦٠

ويبدو من خلال اقوال الطرفين ان الخلاف هو على مهد الجرثومة الاصلي لهـذه الشعوب قبل عهود التاريخ المعروفة . ومن اصحاب القول الاول من يقول ان جرثومة هذه الشعوب هاجرت من مهدها الاول الى جزيرة العرب قبل عهود التاريخ ثم اخذت تنساح منها الى الاقطار المجاورة ؛ وبعبارة اخرى ان اصحاب هـذا القول يلتقون مع الاولين في دور من ادوار تاريخ الجنس العربي والجزيرة (١) .

ومهما يكن من امر مهد الجرثومة الاولى الاول ، وحتى على احتمال ان لا يكون هذا المهد جزيرة العرب ، وحـتى على احتمال ان يكون سكان الجزيرة الاولين من عناصر مختلفة اسيوية وافريقية (٢) تقاربت وتمازجت وتشاركت مع الزمن فان هـذا مما يعود كما قلنا قبل الى عهود ما قبل التاريخ ، وان عهود التاريخ حينما اطلت كانت الجماعـة العربية المتشاركة في اللغة والعادات والعقائد قد قامت في جزيرة العرب ، واخذ ينساح منها من ينساح الى الاطراف ويبقى فيها من يبقى مما تؤيده الوقـائع التي جرت وظلت تجري منذ اقدم الازمنة التاريخية المعروفة الى اليوم ، ولم يبق موضوعاً تاريخياً قديمـاً مضى وانقضى ، وغدا محل نفي واثبات وظن وابداء واعادة ؛ حيث كانت القبائـل وظلت تنساح من مختلف انحاء جزيرة العرب متلاحقة بـدون انقطاع من الجنوب عن طريق باب المندب الى شواطىء افريقية الشرقية فاثيوبية فمصر احياناً ومن الجنوب الى شواطىء بحر الهند والخليج العربي ـ الفارسي فالعراق وبلاد الشام احيانـاً ومن الشمال الى بلاد العراق والشام ومن هنا الى مصر عن طريق برزخ السويس احياناً ؛ وكان ذلك قبل دور العروبة الصريحة ثم استمر بعد بروز العروبة الصريحة قبـل الاسلام ثم استمر منذ الاسلام الى اليوم ؛ ومما سجلت احداثه القديمة نقوش المصريين والأشوريين والكلدانيين واسفار العهد القديم وكتب اليونان والرومان القدماء ، ومما تواصلت احداثه الجديدة فيما عرف يقيناً من انسياح القبائل العربية من جزيرة العرب في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام الى العراق وبلاد الشام ثم بالقبائل التي جاءت تحت راية الاسلام واخذت تنتشر كذلك

---

(١) في الجزء الاول من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي (ص ١٤٨ وما بعدها) فصل قيم استعرض المؤلف فيه وناقش اقوال ونظريات الباحثين في موضوع وحدة الارومة بين الشعوب « السامية » وصلتها بجزيرة العرب ويبدو منه ان القائلين بوحدة الارومة وكون جزيرة العرب هي موطنهـا هم الاكثر والاقوى حجة .

(٢) نفس المصدر .

في بلاد الشام والعراق ووادي النيل وشمال افريقية ، ثم بالقبائل التي ظلت تأتي من الجزيرة بعد الموجة الاسلامية الأولى وتنتشر في مختلف انحاء هذه البلاد ، ثم بالصورة الحية الماثلة اليوم بالقبائل الغادية الرائحة او المستقرة التي تملأ جنبات هذه البلاد كذلك ، والتي يعرف يقيناً انها انساحت من جزيرة العرب ومنها من يمت الى القبائل القديمة ومنها من جاء قبل قرن او قرون قليلة على ما سوف يأتي الكلام عنه باسهاب اكثر في فصول الكتاب .

– ٦ –

وقبل ان ننتهي من كلمتنا نريد ان نشير الى كتابين ظهرا حديثاً في تاريخ العرب في اثناء عكوفنا على تدوين هذا الكتاب .

أولهما كتاب تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي ورفيق له وصف بالمطول . وقد كتب هذا الكتاب مع مختصرله في الاصل باللغة الانكليزية ثم ترجم الى العربية . ورغم وصفه بالمطول فليس فيه غناء للعربي الذي يريد ان يلم بجميع ادوار التاريخ العربي في مختلف الاطوار والاقطار الماماً وافياً وان صح ان يكون كذلك بالنسبة لمن يعرف الانكليزية من غير العرب . وهذا فضلا عن ان فيه مآخذ تاريخية واجتهادية كثيرة يراها غير واحد من الباحثين انها غير بريئة ؛ هذا أولا ، وثانياً : انه جرى على الاسلوب المألوف من قصر البحث على عرب الجزيرة ومهاجرها في دور العروبة الصريحة دون الذين خرجوا من الجزيرة الى هذه المهاجر قبل هذا الدور .

أما الكتاب الثاني فهو تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي الذي ظهر منه الى الآن خمسة مجلدات . وهو والحق يقال من انفس الكتب وافضلها في بابه وقد خدم المكتبة العربية والتاريخ العربي به خدمة جليلة وبذل في سبيل ذلك جهوداً عظيمة . غير انه هو الآخر اقتصر على عرب الجزيرة ومهاجرها في دور العروبة الصريحة دون الذين خرجوا من الجزيرة الى هذه المهاجر قبل هذا الدور اولا واقتصر على تاريخ العرب قبل الاسلام ثانياً ؛ واسلوبه الى هذا وذاك مطول فيه دراسات اثرية ومقارنات واستعراضات لاقوال الاثريين المتنوعة ومناقشاتهم مما لا يسيغه القارىء الذي يريد الالمام العام ، ولا يفيد إلا الباحثين حيث هو مرجع ومقتبس قيم جداً – وقد اقتبسنا منه اشياء كثيرة – ولا يغني عن كتابة تاريخ للعرب قبل الاسلام باسلوب آخر يساعد الناشئين على الالمام بهذا التاريخ بيسر وشوق .

وقد جعلنا هذا وذاك نرى ان الضرورة الى كتاب مثل كتابنا ما تزال قائمة ؛ ولا سيما إنه يهدف كما قلنا الى ابراز خصائص وآثار ونشاط وحيوية الجنس العربي في مختلف الادوار والاقطار ومن فجر التاريخ الى اليوم في سلسلة تامة الحلقات .

واننا لنرجو ان نكون قد سددنا بهذا الكتاب فراغاً وصححنا اخطاء واسدينا الى امتنا العزيزة وتاريخها وناشئتها ما فتئنا نهدف اليه في سني حياتنا من الخدمــة المخلصة . والله ولي التوفيق .

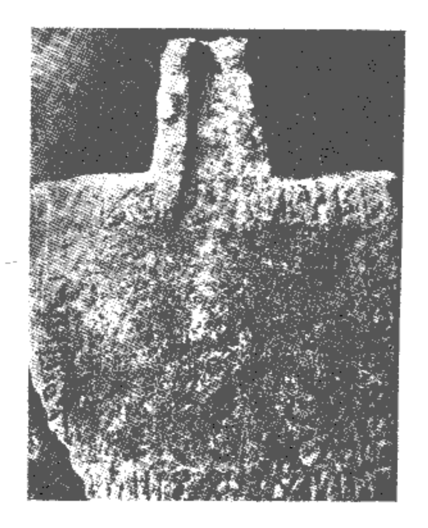
دمشق الشام　　　　المؤلف

ذو الحجة سنة ١٣٧٦

القسم الاول

تاريخ الجنس العربي قبل بروز الشخصية العربية الصريحة قبل الاسلام

فصول هذا القسم اربعة



« مذابح معيني »



خريطة جزيرة العرب كما رسمها الجغرافيون اليونانيون القدماء

الفصل الأول

الجنس العربي في الجزيرة العربية

١ ـ تمهيدات في منشأ الجنس العربي ومصادر تاريخه في الجزيرة .

٢ ـ تاريخ جنوب الجزيرة .

آ ـ الدولة المعينية
ب ـ الدولة السبئيه
ت ـ الدولة القتبانية
ث ـ الدولة الحضرموتية
ج ـ عاد والاحقاف في القرآن
ح ـ دول وامارات ومدن وقبائل مهمة اخرى
خ ـ في العقائد الدينية في جنوب الجزيرة

٣ ـ تاريخ شمال الجزيرة .

آ ـ اللحيانيون
ب ـ الثموديون
ت ـ التيمائيون
ث ـ الجرهيون اوالقريون
ج ـ مدن وملوك وقبائل اخرى في نتوش الأشوريين
ح ـ مدن وموانيء وقبائل اخرى في كتب اليونان والرومان
خ ـ الاسماعيليون ومكة والكعبة .
د ـ ملك العماليق وجرهم في الحجاز
ذ ـ كلمة وجيزة في العقائد والافكار المدنية في شمال الجزيرة
ر ـ تنبيهان في صدد وسبب عدم قيام دولة كبرى في شمال الجزيرة وفي صدد اللمحة العربية وتطورها .

ز ـ مراجع هذا الجزء

تمهيدات

- ١ -

منشا الجنس العربي وقدمه في الجزيرة

اختلفت اراء الباحثين في منشأ الجنس العربي الذى سمي خطأ بالجنس السامي قبل وجوده في جزيرة العرب فمنهم [١] من قال ان اجداده جاؤوا من العراق ومنهم من قال انهم جاؤوا من افريقية ومنهم من قال انهم مزيج من افريقيين وسكان حوض البحر الابيض ومنهم من قال ان الجنوبيين منهم حاميون والشماليون ساميون اقتباساً من التقسيم الثوراتي ؛ ومنهم من قال . ان اليمن هي منبتهم . . .

وليس من الميسور الجزم في هذا كما انه ليس من طائل وراءه لانه يعود الى الحقبة السحيقة في القدم التي توزع خلالها البشر على وجه الأرض بتأثير العوامل المتعددة والمتنوعة والتي تعود الى عصور ماقبل التاريخ .

على انهم مهما اختلفوا فان معظمهم متفقون على ان الجزيرة العربية منذ اقدم الازمنة التاريخية المعروفة كانت مأهولة بجماعات متشابهة في الملامح والطبائع تتكلم لغة مشتركة وان تعددت لهجاتها ، وان الاقوام التي سميت خطأ بالاقوام السامية وسجلت نشاطها السياسى والاجتماعي والمدني والعمراني والعقلي والديني في الجزيرة ثم في وادي النيل وبلاد العراق والشام هم من هذه الجماعات . ففي اكناف جزيرة العرب تكونت الجماعة العربية الاولى ، ومنها ابتدأت الهجرة العربية الى اطراف تلك الجزيرة والى ماوراء هذه الأطراف في مصر وتخوم بلاد ايران [٢] .

وليس هنالك من ينكر إمكان كون سكان هذه الجزيرة قد عاشوا عيشة مدنية وسياسيه واجتماعية منذ اقدم الأزمنة التي سجل الجنس البشري حياة مماثلة في بعض الاقطار الأخرى ، وبتعبير ادق منذ زمن اقدم من الزمن الذى تشير اليه الأثار المكتشفة في ارض الجزيرة وخارجها او الاخبار والروايات الواردة في كتب اليونان والرومان واسفار العهد القديم او نقوش مصر وبابل وأشور والتي يرجع بعضها الى اربعة آلاف عام

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي . ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها

(٢) الاساس في الامم السامية ولغاتها ص ٣٥ وما بعدها . وتاريخ قبل الاسلام لجواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها ومحاضرات في تاريخ العرب للدكتور صالح احمد ومقدمة في الحضارات القديمة لطه باقر وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون وغيرها كثير .

واكثر قبل الميلاد المسيحي ؛ ولاسيما ان هـــذه الأثار تدل على تقدم غيريسيز في مضمار الحياة السياسية والمدنية والاجتماعية والعقلية لايمكن ان يكون تم الا نتيجة تطور وتدرج يرجعان الى قرون كثيرة قبل الزمن الذي نقشت او كتبت فيه . وكل ما في الأمر انه لم يكشف عن آثار اقدم كما كشف عن آثـــار اقدم في وادى النيل والعراق . وليس من المستبعد ان يكشف عن آثار اقدم بالنسبة لسكان الجزيرة حينما يمكن القيـــام بتنقيبات واسعة كما امكن في مصر والعراق ؛ ولاسيما ان في مختلف أنحاء الجزيرة خرائب ومقابر وأطلالا كثيرة لم ينقب فيها تنقيبا علمياً واسعاً

ومما يمكن ان يقال تأييداً لهذا ان الجماعات التي جاءت من جزيرة العرب الى وادي النيل وحوض دجلة والفرات واستقرت فيهما قبل اكثر من خمسين واربعين قرناً قبل الميلاد كانت على شيء غير يسير من مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية ووسائلها من المعقول ان تكون مزودة بها من منشأها الاول . وقد جاء في كتاب تاريخ مصر قبل الفتح وبعده [1] ان المعلوم يقيناً ان الذين نشأ منهم منا وهو أول من عرف مـــن ملوك المملكة المصرية المتحدة قبل خمسة وثلاثين قرناً قبل المسيح [2] من الساميين وانهم دخلوا الى مصر ومعهم حضارة ارقى مما كان في مصر وهم الذين جاؤوا بفن التحنيط والكتابة الهير وغليفية وان هناك من يقول انهم دخلوا الى مصر من برزخ السويس ومن يقول انهم جـــاؤوها من طريق الجنوب . وقد قال فيلبي [3] « ارسلت العربية الجنوبية موجات متعاقبـــة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي استقرت فيها وقـــد حملت معها كل ما تملكه من اشياء ثمينة آلهتها وثقافتها وخطها الذي اشتقت منه سائر الاقلام وطبعت تلك الأرضين الواسعة التي حلت فيها بهذا الطابع « السامي » الذي ما زال باقياً حتى اليوم .

ولقد قال فريق من الباحثين منهم كايتاني الطلياني ان مناخ جزيرة العرب كان عرضة لتغيرات عديدة ، وانه كان فيها انهار ومياه وان هذا الجفاف الذي يسود معظم الجزيرة طارىء حديث وانه هو الذي حفز جماعات من اهلهـــا الى النزوح عنها الى الاماكن المجاورة لها شمالا وجنوباً . ويدلي القائلون لتأييد رأيهم بأدلة متنوعة من جملتهـــا ادلة جيولوجية وطبيعية حيث وجد في وديان عديدة مثل وادي الحصن ووادي السرحان ووادي الرمة ووادي الدواسر ترسبات تدل على انها كانت انهاراً جارية ؛ ويصلون الى نتيجة كون جزيرة العرب في حقبة من التاريخ كانت ذات جو معتدل وامطار غزيرة

---

(١) ص ٦ — ٧ (٢) اكثر الباحثين على ان مملكة مينا قامت قبل هذا الوقت بزمن طويل يتراوح بين الف وخمسمائة عام على ما سوف نشرحه في فصل مصر . (٣) العرب قبل الاسلام جواد علي ج١ ص ١٦١

واشجار وزروع وان ما طرأ عليها من تبدل قد طرأ تدريجياً منذ نحو اربعة عشر الف عام [1] . وينطوي في هذا احتمالات عمران وحضارة اقدم مما عرف يقيناً منها في جزيرة العرب وشاملين لمناطق اوسع من المناطق التي عرفت بهما فيها كما ينطوي فيه تأييد لكون ما بدا على الجماعات النازحة الى وادي النيل والهلال الخصيب منذ الازمنة القديمة من مظاهر الحضارة والحياة الاجتماعية والسياسية هو متصل بذلك الاصل القديم .

والراجح ان سكان الجزيرة حينما جاؤوا من مهدهم الاول المجهول تاريخياً فنزلوا في جنوبها اي في منطقة اليمن لانها هي اصلح مناطق الجزيرة للمعيشة بسبب مناخها وتربتها ومياهها ؛ وانهم لما تناسلوا وكثروا اخذوا يتوزعون في انحاء الجزيرة وينساح بعضهم منها الى الاقطار الشمالية ؛ وان هذا كان منذ الزمن القديم جداً لا يعرف معرفة تاريخية صحيحة ؛ وانه حينما أخذ الزمن يسجل تاريخ جزيرة العرب المدني والاجتماعي والسياسي كانت كما قلنا مأهولة بالسكان وكان منهم المستقرون في الجنوب والمستقرون في الشمال والمستقرون في الشواطيء الجنوبية والغربية والشرقية .

ولعل من الادلة التي يصح ان تساق على اصلية المنزل الجنوبي واقدميته ان الاثار والوقائع اثبتت ان مآثر الجنوب السياسية والاجتماعية والعمرانية هي الأسبق والاقدم ؛ وان الانسياح الى الخارج كان منه قبل غيره [2] .

- ٢ -

مصادر تاريخ العرب في الجزيرة

وجزيرة العرب قارة شاسعة تزيـــد مساحتها على مليونين ونصف من الكيلومترات المربعة ؛ وهي مختلفة المناخ متنوعة المظاهر الجغرافية والطبيعية ؛فيها السواحل والصحارى والجبال . وفيها مايكثر فيه المطر ويقل ؛ وبسبب ذلك تنوعت مآثر سكانها واساليب معيشتهم وحياتهم ؛ فكان منهم البدو المتنقلون والحضر المستقرون .

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٥٨ – ١٦٩ ولعل ما ظهر في بعض انحائها من حقول نفطية دليل من جملة الادلة لان النقط هو نتيجة تحلل المواد العضوية النباتية والحيوانية خلال الحقب الطويلة .

(٢) جاء في كتاب العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ١ ص ١٦١ نقلا عن فيلبي : ارسلت العربية الجنوبية موجات متعاقبة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي استقرت فيها . وقد حملت معها كل ما تملكه من أشياء ثمينة ٠ حملت معها آلهتها واولها الاله القمر وثقافتها وخطها الذي اشتقت منه سائر الاقلام ومنه القلم الفينيقي وطبعت تلك الارض الواسعة التي حلت فيها بهذا الطابع « السامي » الذي ما يزال باقياً حتى اليوم . وهذا مستمد من الدراسات التي قام بها العلماء لاحوال جزيرة العرب ومن الحوادث التاريخية التي تشير الى هجرة القبائل من اليمن الى الشمال .

وللاخباريين والرواة والمؤرخين العرب اقوال كثيرة ومتنوعة في تاريـخ سكان الجزيرة واهلها ومآثرهم ، وقـد اكتشفت آثار في اليمن وسيناء وسواحـل الجزيرة وبلاد الشام والعراق ومصر فيها اشارات الى هذ التاريخ . وهنالك اسفار العهد القـديم التي يرجع تاريخها الى قرون عديدة قبل المسيح ، ومدونات يونانية ورومانية وعبرانية وسريانية ترجع كذلك الى قبيل هذا الميلاد وبعيده فيها اشياء كثيرة عن هذا التاريخ ايضاً

والروايات والاخبار والمدونات والمأثورات العربية مشوبة بكثير من الخلط والغموض والتناقض والاغراب : سواء ما كان متصلا بالانساب والاسماء والاعلام ام بالاحداث المتنوعة الأخرى ، وكثير منها بادي الافتعال والصنعة والدس بعد الاسلام لاسباب متنوعة مردها الى ما كان في صدر الاسلام من فتن وتنافس وتشاد وحزازات ومفاخر قبيلية . وبعض مايمكن ان يكون له اصل منها قد تعرض على الغالب للتحريف والتشويه والزيادة والنقص بسبب تأخر التدوين . ومن اجل هذا فانه لا يمكن ان يكون عليهـا معول كبير في كتابة هذا التاريخ .

واسفار العهد القديم التي تذكر أحداث القرون القديمة تتحمل هي الاخرى كثيراً من الحذر والتحفظ لانها دونت قبل الميلاد المسيحي ببضعة قرون ؛ وبين هذا الزمن وبين الاحداث المذكورة فيها مئات السنين بل ألوفها . والمبالغة في الارقام والتهويـل في الاوصاف في سياق تلك الاحداث ملموسان فيها كما يلمس فيهـا محاولة التوفيق او التلفيق والخلط بين ما هو راهن في الافكار حين التدوين ونسبته الى القرون الاولى ، وخاصة في تسميات الأمم والمدن والأشخاص والأنساب . وكل مايمكن ان يكون من امرها انها وثائق مهمة في الاحـداث التاريخيـة والشؤون الراهنة في ظروف تدوينها اوقبلها بقليل كما ان من المحتمل ان يكون مايعود فيها الى عهد موسى وقبله بقليل يرتكز الى اصل شيب بالتحريف والتشويه والزيادة والنقص .

والمدونات اليونانية والرومانية والعبرانية والسريانية وثائق مهمة حقاً في الاحداث التاريخية والشؤون الراهنة التي كانت في ظروف تدوينها . اما مايعود منها الى القرون العديدة التي سبقت تدوينها فانـه قام على السماع والروايات وشيب بكثير من الخلط والمفارقات .

بقيت الآثار المنقوشة . وهي من دون ريب وثائق مهمة وأساسية . غـير ان معظم النقوش التي عثر عليها مقتضب وكثير منها نقش لغايات دينية كاخبار تقديم نذور وشكر

للآلهة على مساعداتهم لاصحابها اوكدعاء بمساعدتهم ؛ وكثير منها مشوه ومبتور ايضاً . وكثير منها مازال تحت الدرس لم تعرف محتوياته ونصوصه [١]

من اجل هذا كله فانه يوجد ثغرات وحلقات مفقودة وعقد كثيرة في تاريخ سكان جزيرة العرب القديم ومآثرهم ـخاصة بالنسبة لدور ما قبل العروبة الصريحة الـذي نحن الآن في صدده . وليس من مناص والحالة هذه في كتابة تاريخ العرب قبـل الاسلام في الجزيرة وخاصة فيما يتصل بدور قبل العروبةالصريحة من اخذ هذه النقائص والعثرات والعقد بعين الاعتبار ؛ ومن السير في كتابة هذا التاريخ بتحفظ شديد اذا اريد ان يكون سليما علمياً قائماً على الحقائق والكلام فيه غير ملقى على عواهنه .

وعسى ان يسد كثير من هذه الثغرات في المستقبل اذا ما تيسر استجلاء ماهو تحت الدرس من النقوش والتنقيب الواسع في مختلف انحاء الجزيرة وجرى بدأب وجـد من قبـل الخبراء والعلماء العرب وغير العرب . وما كشف عنـه الى الآن في مختلف انحاء الجزيرة والمهاجر على قلته بالنسبة لما لم يكشف عنهمن الخرائب والاطلال قد جلا كثيراً من تاريخ العرب قبل الاسلام وساعد على تصحيح كثير من الاخطاء الشائعة .

وهناك اصدق واوثق مدونة عربية وصلت الينا ونعني بها القرآن الكريم مع الاحترام لقدسيته ومن الممكن ان يقتبس من فصولـه صور كثيرة عن العرب قبـل الاسلام في الجزيرة بدون ريب . غير ان معظم الصور التي يمكن اقتباسها عائد الى عصر النبي عليه السلام او قبله باجيـال معدودة اولاً والى اهـل بيئة النبي عليه السلام التي نزل فيها بالدرجـة الاولى ثانياً ، وليس من شأنها ان تساعـد على شيء كثير بالنسبة للقرون الطويلة الاولى .

وعلى كل حال فسوف تكون النقوش اولاً والمدونات القديمة ثانياً المعول الأكبر في كتابة هذا الفصل مع الاستئناس بما احتواه القرآن من فصول قليلة عائدة الى ماقبـل العروبة الصريحة .

---

(١) بلغ عدد النقوش المكتشفة في القرن السابق نحو الفين وفي هذا القرن نحو ستة آلاف عـلى ما ذكره زيدان وجواد علي . وهذا العدد الاخير هو الذي اكثره تحت الدرس .

- ٣ -

القحطانيون والعدنانيون

ولقد جرى مؤرخو العرب على تقسيم العرب وتاريخهم قبل الاسلام الى عرب بائدة وعرب عاربة وعرب مستعربة ، ثم على اعتبارهم شعبين كبيرين قحطاين وعدنانيين . وقد اوردوا اسماء عديدة لامم وقبائل وانساب واشخاص واعلام وتعليلات واشعار وروايات في صدد هذه التقسيات ؛ وفيها من التداخل والتناقض والخلط والاغراب الشيء الكثير ، وليس هناك وثائق اثرية ومدونات قديمة تؤيدها ، بل لقد ظهر من بعض الأثار ماينقض بعضها ، فهم يعدون ثمود مثلاً من العرب البائدة مع ان هناك نقوشاً تثبت وجود ثمود ومآثرهم في القرن الثامن قبل الميلاد وبعده على ماسوف نذكره بعد . وهم يوردون شعراً عربياً فصيحاً بلغة قرآنية منسوباً الى تبابعة اليمن واقيالها وغيرهم ممن يفرض وجودهم قبل نزول القرآن بمئات السنين مع ان ماعرف من لهجات ومفردات واساليب اللغة العربية قبل نزول القرآن ببضعة قرون في اليمن وغير اليمن يثبت ان اللغة القرآنية لم تصل الى ماوصلت اليه من طور الفصاحة الا قبل نزول القرآن بقرن اوقرنين ، دعك مما اوردوه من شعر أدم وقابيل وهابيل واسماعيل باللغة القرآنية مما هو ادخل في باب التخريف .

ومن اجل هذا لم نرطائلا في ايراد ماجاء في الكتب العربية عن العرب البائدة والعاربة والمستعربة وقبائلها وأحسابها وانسابها . وكل ما رأينا احتمالا لصحته اطلاق اسم القحطانيين كأسم عام على عرب الجنوب ، والعدنانيين كأسم عام على عرب الشمال برغم مايراه بعض الباحثين من ان هذه التسمية تدخل في نطاق ماتوصف به كتابات مؤرخي العرب ورواياتهم عن ما قبل الاسلام من عدم الوثوق والتلفيق بعد الاسلام ؛ لأن انتشار هذه التسمية الانتشار الواسع المردد من عرب الجنوب والشمال معاً منذ وقت مبكر من صدر الاسلام يجعلنا نرجح انها ترتكز الى اصل ما قبل الاسلام ، وانها لم تخترع اختراعاً بعده ولو لم يمكن تعيين هذا الاصل وإسناده الى سند وثيق . غير ان من الحق ان نقول ان الاسلوب العربي الفصيح للتسمية يدل على انها ليست قديمة وانها حدثت في دور بروز الشخصية العربية الصريحة قبل الاسلام [1] وتشابه الملامح وتقارب اللهجات واستمرار التواصل المتنوع الاساليب والظروف

---

(١) في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي الجزء الاول ص ٣٠٧ وما بعدها بحث قيم في هذه ا واضيع

والبواعث بين القحطانيين والعدنانيين مما تدل عليه الاحداث القديمة والمتـأخرة يسوغ الجزم بأن الشعبين هما سلالة جنس واحد افترق احدهما عـن الأخر بسبب الظروف الطبيعية او الاجتماعية اوهـذه وتلك معاً . وما نقلـه كتاب العرب من الروايات التي تجعل العدنانيين من نسل اسماعيل بن ابراهيم العبراني غير وثيق وغير متسق مع طبائـع الأشياء .

واذا كان من الممكن ان تكون قصة سكنى اسماعيل في منطقة مكة حقيقة فـان كل مايمكن ان يكون من نتائجها إصهار اسماعيل الى فريق من سكان هذه المنطقة ثم اندماجه هو وذريته فيهم .

هذا ، ولقد كتب جرجي زيدان قبل نحو اربعين سنة كتاباً في تاريخ العرب قبـل الاسلام في الجزيرة وبلاد الشام والعراق والرعاة في مصر استند فيـه الى النقوش العربية القديمة والمدونات الاجنبية والعربية القديمة كذلك ؛ فكان اولى المحاولات لكتابة هـذا التاريخ كتابة سليمة وثيقة بقدر الامكان .

ومنذ ست سنين اخـذ الدكتور جواد علي يصدر اجزاء كتابه القيم بنفس العنوان ، وقد صدر منه الى الأن خمسة مجلدات . وقد جاء اوفى بكثير من كتاب زيدان ، بـل من الحق ان يقال إنه جـاء على او فى وأتم صورة ممكنة لان مؤلفه الفاضل لم يكـد يترك مصدراً من المصادر العربيـة والغربية الاواطلع عليه واشار اليه مقتبساً وناقـداً وشار حاً ومعارضاً . وكانت النقوش في الدرجة الاولى واقوال واستقرآآت ومناقشات وتخمينات الاثريين والمستشرقين في الدرجة الثانية معوله .

وقد جعلنا ماكتبه هذان المؤرخان وخاصة الدكتور جواد علي معولنا في ماكتبناه من فصول موجزة في تاريـخ العرب ودولهم وملوكهم ومآثرهم في الجزيرة وخارجها في نطاق الخطة التي ترسمناها وهي الايجاز مع الوفاء بالمقصد ، حتى لقد كدنا نلخص اجزاء كتاب الـدكتور مقدرين جهوده العظيمة التي اغنت المكتبة العربية بمصدر قيم وثيق في تاريخ العرب قبل الاسلام .

في جنوب الجزيرة

- ١ -

الدولة المعينية

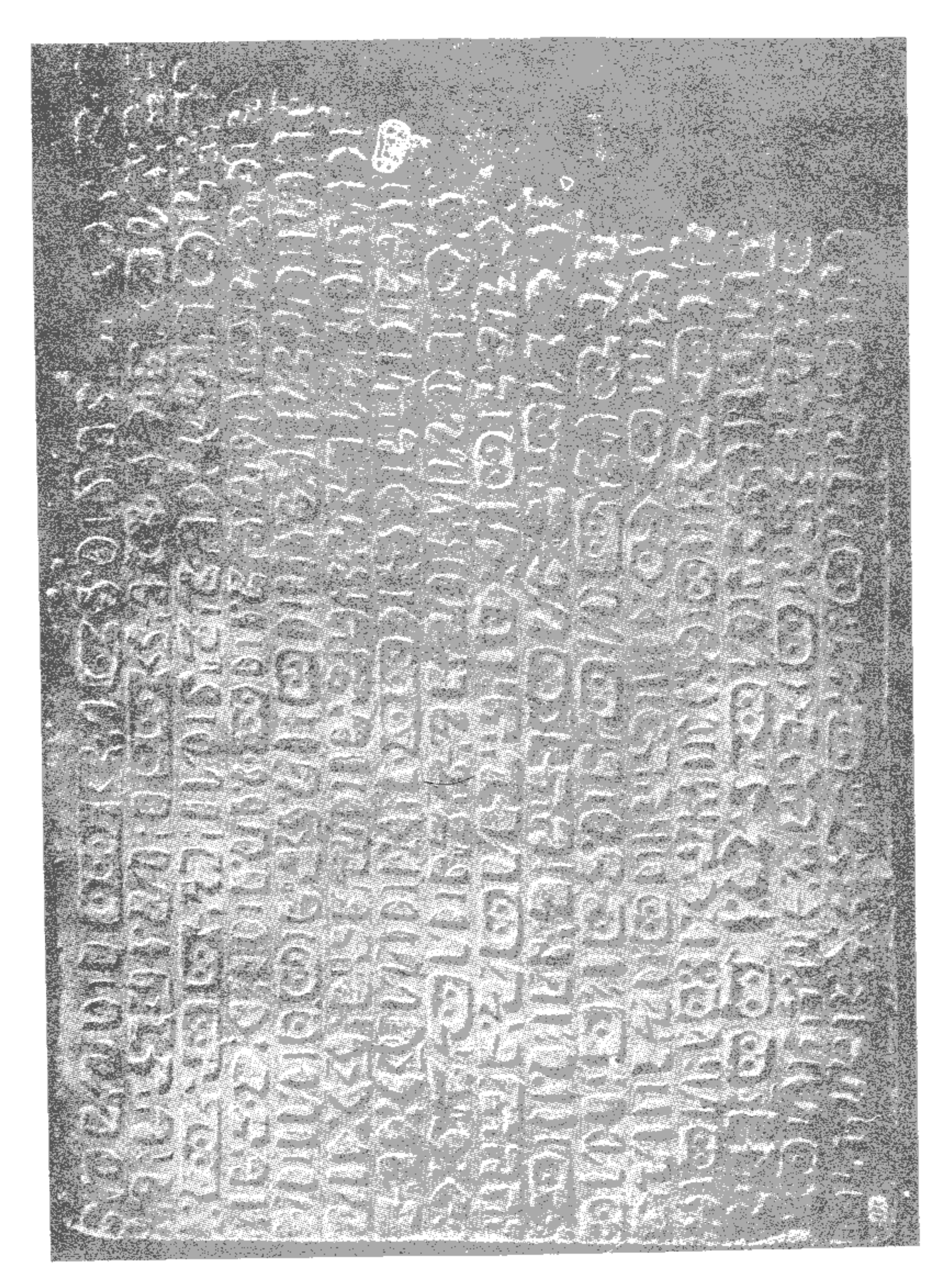
إن اقدم الدول التي عرف بروزها في جنوب جزيرة العرب كدولة كبيرة شاملة السلطان . هى الدولة المعينية . وقد وجدت آثار منقوشة في انحاء اليمن تحمل اسمها وشيئاً من اساليب حكمها واسماء ملوكها كما وجدت نقود تحمل اسمها واسامي بعض ملوكها . وقد ذكرها استرابون اليوناني وديودوس الصقلي بـاسمها في مدوناتهم .[١]

وقد قدر احد المستشرقين بدء سلطان هده الدولة الشاملة حوالي سنة ١٥٠٠ ق م كما قدر أخر منهم هذا البدءحوالي سنة ١١٢٠ق م استناداً الى دراسات اثرية .[٢] والتقدير الاول هو الاقرب للحقيقة فيما تظن ان لم نقل . ان ذلك البدء كان اقدم منه . لان الدولة السبئية التي حلت محلها في السلطان الشامل على ما عرف من الأثار كانت موجودة وتتمتع بهذا السلطان في القرن العاشر قبل الميلاد . وقدورد اسم سبأفي سفر حزقيل من اسفار العهد القديم باسلوب يدل على ما كان لها من اسم ذائع وتجارة مزدهرة لابد من انهما يرجعان الى عهد اقدم من السفر الذى يقدر تدوينه في القرن الثامن قبل الميلاد؛ وحيث يدل بالتالي على ان الدولة المعينية كانت وجدت وغدت صاحبة هـذا السلطان قبل ذلك بامد ما . وهذا فضلا عن انه لابد من ان تكون مملكة معين المحلية قد وجدت قبل ان تبرز وتغدو صاحبة السلطان الشامل على مناطق كثيرة بمدة طويلة وقد لانعدو الصواب اذا قلنا والحالة هذه ان مملكة معين المحلية قـد وجدت في ظرف متقدم عن الفي عام قبل المسيح ثم اخذت تقوى وتبسط سلطاتها على غيرها حتى غدت دولة كبرى خلال بضعة قرون بعد هذا الظرف .

ولقد عثر النقابون على نقوش ونقود احتوت اسمـاء ستة وعشرين ملكاً من ملوك الدولة المعينية ولئن كان بعضهم يمكن ان يكون ثانوياً حكم في عهد سلطان دولـة سبأ الشامل وفقاً للطريقة التي كانت تجري والتى ذكرناها آنفاً فان كثرة العدد قد تدل ايضاً على ان عهد دولة معين السابقة لعهد دولة سبأ لم يكن قصيراً.

---

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان ص ١١١ (٢) العرب قبل الاسلام لجواد علي ج١ ص ٣٨٥



« كتابة مسندية محفوظة في متحف استانبول »

ونريد ان نستدرك امراً هاماً. وهو ان ماعرف من مدنية دولة معين وآثارها وانظمتها يدل على ان ذلك ليس مرتجلا وعلى انه لابد من ان يكون استمراراً لعهود سابقة كان لها حظ غير يسير من المآثر العمرانية والاجتماعية والسياسية . وكل مافي الآمر ان الآثار المكتشفة والتي يصح ان يستند اليها التاريخ السليم لاتساعد على تدوين شيء حقيقي اكثر قدماً من عهد الدولة المعينية [1]

ولقد قامت الدولة المتحدة المصرية الأولى التي كان اول ملوكها « منا » قبل خمسين قرناً قبل الميلاد في رواية وخمسة وثلاثين قرناً في رواية اخرى [2] ؛ وتركت من الآثار مادل على تقدمها منذ الأسر الأولى منها تقدماً غير يسير في مختلف مجالات الحضارة الدينية والثقافية والعمرانية والفنية والمعيشية [3] وثبت ان الذين اقاموا هذه الدولة هم من موجات جزيرة العرب التى انساحت الى وادي النيل قبل ذلك بمئات السنين [4] ؛ وقد قال بعض الباحثين انهم جاؤوا الى مصر ومعهم حضارة ارقى مما كان فيها وانهم هم الذين جاؤوا بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية . وقد قال فيلبي كلاماً مقارباً على مانقلناه قبل قليل .

ويدعم هذا ان الموجات العربية التي انساحت الى بلاد العراق والشام قبل اربعين قرناً قبل المسيح ثم قبل ثلاثين ثم قبل عشرين سجلت الاخرى كثيراً من المآثر العمرانية والسياسية والادبية منذ ذلك العهد البعيد ، وثبت تشارك الدولة المعينية في كثير من هذه المآثر على ماسوف نذكره بعد .

وهذا يسوغ القول . ان نواة هذه المآثر كانت نامية في الجزيرة العربية اوبتعبير ادق في جنوبها قبل انسياح هذه الموجات فنسجت على منوالها استمراراً لما كانت عليه في البلاد التى طرأت عليها ، واتصلت حلقاتها حتى عهد الدولة المعينية ، وانه ليس من المستبعد ان يكشف فيما بعد عن حلقات منها اقدم من هذا العهد ، كما يسوغ القول ان جنوب جزيرة العرب كان مقر حضارة دينية وثقافية وعمرانية وفنية راقية نوعاً

---

(١) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لطه باقر ج ٢ ص ١٩٥ (٢) بريستيد تاريخ مصر منذ العصور القديمة ص ١٢ والكافي لشاروبيم ج ١ ص ١٣ – ١٤ (٣) بريستيد ص ٢٤ وما بعدها (٤) المصدر السابق ص ١٧ وما بعدها وتاريخ مصر قبل الفتح وبعده للاسكندرس وسفيد ج ١ ص ٦ والاساس في الامم واللغات السامية للابراشي ورفقاه ج ١٥ – ٣٧ والاثر الجليل لسكان وادي النيل لاحمد نجيب وتاريخ الحضارة المصرية لفوستاف لوبون وتاريخ السودان العام حسن كمال وغيرهم وغيرهم .

ما بالنسبة لذلك العهد القديم منذ اقدم الازمنة التاريخية ، وانه الذي شت منه حضارة مصر والعراق التي تعد اقدم حضارات العالم اومن اقدمها ومقتبساً لها ؛ وكفى بهـذا فخراًللجنس العربي صاحبها .

ولقد عرف من الآثار والمنقوشات المصرية القديمة على ماجاء في تاريخ مصر منـذ اقدم العصورلبريستيد [١] ان سحورا احد ملوك الأسرة الخامسة المصريـة التي حكمت بين (٢٧٥٠ ـ ٢٦٢٥ ق . م حسب رواية هـذا المؤلف وبين (٣٩٦١ ـ ٣٧١٣) حسب رواية مؤلف كتاب الكافي في تاريخ مصر [٢] عند قـدماء المصر يين قـد انشأ اسطولاً وسيره الى خليج عدن لجلب البخور والعطور والمعادن النفيسة ؛ وان اسطول مصرفي عهد بيبي الثاني احد ملوك الاسرة السادسة المصرية التي حكمت بين (٢٦٢٥ ـ ٢٤٧٥ ق . م حسب رواية بريستيد [٣] وبين ٣٧٠٣ ـ ٣٥٠٠ ق . م) حسب روايـة الكافي [٤]كان ينشط بين مصر وموانيء البحر الاحمر ، وان هذا الملك اصلح الطريق الى القصير على ساحل هذا البحر من ناحية مصر لتسهيل سير القوافل التجارية ولقد جاء في الكافي ان منتو حتب الرابع احد ملوك الاسرة الحادية عشرة التي حكمت بين ٣٠٦٤ ـ ٣١٣٥) ق . م حسب رواية هذا الكتاب [٥] بين (٣٠٦٤ ـ ٣١٣٠ق . م) حسب رواية بريستيد [٦] ارسل بعثة الى بلاد العرب لاحضار الصمغ ذي الرائحة الزكية وان هذه البعثة توجهت من قفط على رأس حملة الى البحر والاحمر ومنهالىجنوب جزيرة العرب ووصلت إلى سبأ وواك ورهان واحضرت منها الحجارة النفيسة لتماثيل المعابد . ولقد جاء في تاريخ مصرمنذ اقدم العصور بريستيد [٧] ان امتحمعت الثـاني احد ملوك الاسرة الثانية عشرة التى حكمت حسب رواية هذا المؤرخ بين (٢٠٠٠ ـ ١٧٨٨) [٨] ق . م وحسب رواية مؤلف الكافي [٩] بين (٣٠٦٤ ـ ٢٨٥١ ق . م) اصلح الطريق الموصل بين قفط والبحر الاحمر وازداد نتيجة لذلك النشاط التجاري والملاحي بين مصر وموانيء البحر الاحمر والصومال حيث تؤيد هذه الآثار مانوهنا بهقدم النشاط الحضاري والصناعي والسياسي في جنوب جزيرة العرب وذيوع صيت ما امتـاز به من حجارة نفيسة وعطور وبخور قبل بروز الدولة المعينية كدولة شاملة كبرى باكثر من الفي عام في تقدير بعض المؤرخين والف عام في تقدير بعض المؤرخين والف عامفي تقديربعض آخر

---

(١) ص ٨٠ – ٨٤ (٢) ج ١ ص ١٩ – ٢٠ و٣٦ (٣) ص ٤٠٤ (٤) ج ١ص ٤٠ – ٤٣
(٥) ج ١ ص ٤٦ – ٤٨ «٦» ص ٤٠٥
(٧) ص ١١٥ – ١٣٤ (٨) ص٤٠٥ (٩) ج ١ ص ٤٩ – ٥٧

- ٣ -

ملوك دولة معين

والاثار التي احتوت اسماء ملوك معين لم تساعـد على ترتيب ولايتهم للعرش ولا تاريخها . وبسبب ذلك اختلفت تخمينات المستشرقين في ذلك وتعددت اقوالهم استناداً الى قرائن غير حاسمة [١] .

وهذه هي الاسماء التي عرفت من هذه الاثار حسبما جاءت في كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان [٢] والتي ذكر انها مرتبة حسب تشابهها .

اب يدع ـ اب يدع يثع ـ اب يدع ـ يام ـ اليفع ـ اليفع ـ يعنيس ـ اليفع باشر او ياسر ـ اليفع يقع ـ اليفع ريام ـ وقه ايل يشع ـ وقه ايل نبط ـ وقه ايل صديق ـ وقه ايل ريام ـ حفن بين اب يدع ـ حفن بـين اب يدع ريام ـ حفن صديق بن يثع كرب ـ حفن ريام بن اليفع ياسر ـ يثع ايل ـ يثع ايل ـ يثع ايل صديق ـ يثع ايل ريام ـ خال كرب صديق ـ هوفعثت بن اليفع ريام ـ معـدي كرب بن يثع ايل ريام ـ امر يثع بين ابو كرب ـ ابو كرب ـ يثع كرب .

وهذه قائمة مقتبسة من الجزء الاول من تاريـخ العرب قبل الاسلام لجواد علي [٣] ومرتبة حسب التسلسل الزمني في التولية مع التنبيه على ان هذا التسلسل موضع خـلاف بين المستشرقين الذين ذكر المؤلف آراءهم وتخميناتهم فيه :

اليفع وقه ـ وقه ايل صديق ـ ابو كرب يثع ـ عمي يثع نبط ـ يثع صدق ايل ـ اليفع يثع ـ حفن ذرح ـ اليفع ريم ـ حوف عث ـ اب يدع يثع ـ وقه ايل ريام ـ حفن صديق ـ اليفع يفيش ـ يثع ايل صديق ـ وقه ايل يثع ـ اليفع بشر ـ حفن ريام ـ وقه ايل نبط ـ اب يدع ريام ـ خال حرب صدق ـ يثع ايل ريم ـ يثع كرب .

والتشابه بين الاسماء المنقولة عن جرجي زيدان والمنقولة عن جواد علي ظاهر وهو طبيعي لان الباحثين درسوا نقوشاً واحـدة . وكل ما في الامر انهم اختلفوا في قراءة بعض الحروف والاسماء او في الحكم الحاسم فيها .

ويقدر المستشرقون الذين اقتبس جواد علي الاسماء من دراساتهم ان هؤلاء الملوك

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد على ج ١ ص ٣٨١ (٢) ص ١١٢ (٣) ض ٣٨١ ومابعدها

ليسوا من اسرة واحدة وانما هم من أسر عديدة تولت السلطات واحدة بعد الاخرى في ظروف ما تزال مجهولة .

ونتبه على ما يبدو على الاسماء من لحــة العروبة في اطوارها الاولى مثل اب وريام ويفع وباشر ونبط وصديق وكرب ويــدع وايل التي هي نواة كلمة الاله او الله وفي معناها . كذلك من الجدير بالتنبيه عليه صيغة المضارع العربية الفصحى التي صيغ بهــا كثير من الاسماء والالقاب المذكورة . وقد ظلت هذه الصيغة طابعاً مميزاً بنوع خاص للاعلام والاسماء اليمانية الى دور العروبة الفصحى حيث يبين هذا وذاك اطوار اللغــة العربية قبل هذا الدور وصورة من صور تطورها اليه .

وقد جاء في تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ان بعض الكلمات الملحقة باسمــاء الملوك المعينيين التي اوردها تعني القاباً تفخيمية مثل « يثع » بمعنى المنقذ و « ريام » بمعنى السامي « وديفيس » بمعنى الشهر و « ياسر » بمعنى السعيد مما يدل على ان عهودهم كانت على شيء اكثر من المعتاد شأناً وسلطاناً ونشاطــاً في حقبة تمتع مملكة معين بالسلطان الشامل .

اما عاصمة هذه الدولة فقد كانت مدينة « قرنو = القرن » . وقد قرىء اسمها «قرنو» على بعض المنقوشات المعينية في سياق يدل على انها العاصمة [1] . وذكر هــذا كذلك استرابون الجغرافي اليوناني الذي عاش في القرن الرابع قبل المسيح [2] ؛ وكانت دولة معين وعاصمتها هذه قائمتين في زمنه وان لم تكن الدولة صاحبة السلطان الاعلى ؛ حيث سلبت سبأ منها هذا السلطان .

وقد ذكر اسم « معين » في جملة المدن اليمانية القديمة [3] . فالظاهر ان اميرهــا هو الذي برز كصاحب السلطان الاعلى فسميت الدولة الكبرى باسم امارته ؛ وانه حينما تمت له السيطرة اتخذ هو وخلفاؤه من بعده « قرنو » عاصمة لسبب من الاسباب .

التنقيبات في منطقة معين ودلالاتها على انتشار نفوذ معين ونشاطها

والمنطقة التي قامت فيها هذه الدولة تعرف اليوم بالجوف . وهي واقعة بين نجران وحضرموت . وقد وجد النقابون آثاراً قديمة وكثيرة فيها حتى وصفها احد مشهوريهم « هاليفي » بأنها اغنى بقعة بالآثار في جزيرة العرب . وفي قسمها الجنوبي تقع خرائب

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي جزء ص ٣٩٠ (٢) العرب قبل الاسلام زيدان ص ١١١

(٣) جواد علي ص ٣٨٤ (٤) جواد علي ض ٣٨٤

مدينة معين ، وعلى مقربة منها آثار معابد ومبان واطلال كثيرة ولا سيما في جهة الشرق. وقد بلغ عدد الكتابات المعينية التي عثر عليها هاليفي هذا واستنسخها زهـاء (٧٠٠) ومعظمها قصيرة ، و ٥٠ ـ ٦٠ كتابة منها تتألف من بضعة اسطر . (١) وفضلا عما اكتشف من النقوش والآثار المعينية في هذه المنطقة فقد اكتشفت آثار ونقوش معينية كثيرة على شواطىء البحر الابيض والخليج العربي ـ الفارسي (٢) وفي اعـالي الحجاز ووادي القرى ومشارف الشام ومنطقة معان والعقبة وبعض انحاء العراق ومصر ؛ واستدل الباحثون بها على ان هذه الدولة كانت تعنى بالشؤون التجارية عناية كبيرة ، وانه كان لها مركز تجاري وسياسي مهم في المكان المسمى اليوم « معان » في شرق الاردن وان الاسم مقتبس من اسمها ؛ وان المملكة اللحيانية التي كانت في العلا في اعـالي الحجاز كانت خاضعة لسيطرتها . ومعان هذه قريبة من خليج العقبة على البحر الأحمر وهي نقطة التقاء بين الشام ويثرب . والمتبادر ان المعينيين جاؤوا الى هذه المنطقة عن طريق هـذا البحر فأنشأوا مركز معان ليكون لهم نقطة ارتكاز حيث توسعوا منه الى الجنوب حتى وصلوا الى أعالي الحجاز والى الغرب والشمال حـتى وصلوا الى بـلاد الشام وشواطىء البحر الابيض (٣) .

ومما عرف من الآثار المكتشفة انه في خلال الفترة التي انقضت بين آخر ايام الدولة المعينية كدولة كبرى وبين خضوعها لدولة سبأ واندماجها فيها ظهر حكومات صغيرة يمكن ان تشبه بحكومات المدن انتهزت فرصة ضعف ملوك معين فاستقلت في شؤونها ثم اندمجت في دولة سبأ ومنها حكومات الحرم وتمنع وكمنه .

وقد عرف من ملوك نشان التي تعرف اليوم باسم الخربة السوداء ملك اسمـه « سمه

---

(١) جواد علي ص ٣٨٤

(٢) آن للكتاب العرب ان يعدلوا عن متابعة كتاب الغرب ويظلوا يصفون هذا الخليج بالخليج الفارسي فقط وليست شواطىء الفرس عليه اطول من شواطىء العرب

(٣) يقول طـه باقر في الجزء الثاني من كتابه مقدمة في الحضارات القديمـة ص ٢٠١ ان معان التي ذكرت في الكتب القديمة بصيغة مجان هي في المنتهى الجنوبي الشرقي لجزيرة العرب وانه لاينبغي الخلط بينها وبين معان شرق الاردن . ونقول انه ليس هناك مايمنع ان يكون في المنتهى الجنوبي الشرقي منطقة اوبلاد كانت تسمى مجان . ولكن الاثار التي دلت على ان المعينيين كانوا يبسطون سلطانهم على اعالي الحجاز التي كانت معان والعقبة طريقهم اليها تدل على ان معان هي معينية الاصل والتسمية ايضا . انظر تاريخ العرب المطول لحتي ج ١ص ٧٠

ينع » كما عرف من ملوك الهرم او الحرم الواقعة بين كمنه وقرنو ملك اسمه « يذمر » وآخر اسمه عثتر وهو ابن الاول ؛ وعرف من ملوك كمنه ملك اسمه « نبط علي » وآخر اسمه « السمع نبط » وهو ابنه (١)

وانتهزت مقاطعة لحيان في شمال الحجاز التي مر ذكرها فرصة ضعف مملكة معين فاستقلت هي الأخرى عن نفوذ المملكة المعينية ايضاً (٢) . وفي هذه الفترة نشأت دولة الانباط في منطقة معان واخذت تمد سلطانها الى الجنوب والشمال على ما سوف نذكره بعد . فالمتبادر ان الذين انشأوها قد استغلوا فرصة ضعف سلطان هذه الدولة في هذه المنطقة الشامية الحجازية نتيجة لضعفه في بيئته الأصلية .

وتشير النقوش التي عثر عليها في الجيزة وقصر البنات في القطر المصري الى الصلات التجارية التي كانت تربط مصر باليمن والمعينيين ، ويستدل منها على انه كان في مصر في القرن الثالث قبل الميلاد جالية معينية . وان المعينيين كانوا يتاجرون مع مصر بالبخور لاجل معابدها (٣) .

والنقوش التي وجدت في العلا تدل على ان هذه المنطقة كانت مأهولة بالمعينيين وان اسم مدينة او مركز الحكومة المعينية هنا هو « دا دان » وان حكامها كانوا من اهل المنطقة ، وانهم كانوا بمثابة نواب عن ملك معين ويلقبون بلقب كبر اي كبير (٤) او رئيس .

- ٣ -

نظام الحكم في دولة معين

ومما عرف من نظام الحكم في هذه الدولة ان الملك كان ينتقل بالوراثة وان الاب والابن احياناً كانا يتوليانه معاً ، وان ملوكها كانوا يتلقبون في بدء عهدهم بلقب يتضمن معنى الزعامة الدينية وهو « مزواد » حيث كان تعبير ، مزواد معين « يعني ملك معين وكاهنها (٥) وان اللامركزية هي التي كانت سائدة حيث كان في كل مدينة او منطقة حكومة محلية لها آلهتها التي تتسمى باسمها ولها هيئاتها الدينية التي كانت تسمى « عم » ؛

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥ (٢) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ٢٩٦ (٣) نفس المصدر ص ٣٩٧ (٤) نفس المصدر ص ٣٩٨ (٥) زيدان ص ١١٢

وحيث كان يقوم على المقاطعات ممثـــل للملك يلقب بلقب « كبر » يشرف على الشؤون العليا المتصلة بالدولة . ومما عرف كذلك ان الضرائب كانت ثلاثة انواع منها ما يعود الى خزانة الدولة ومنها ما يعود الى المعابد ومنها ما يعود الى الحكام المحليين الذين يقدمون من حصتهم نصيباً خاصاً للملك ويتصرفون بالباقي في الاعمـــال والمنشآت العامـــة في مقاطعاتهم . ومن ضرائب المعابد ما هو اختياري ويدعى اكرب (١) وإجباري ويدعى فرع وعشر . اما النذور التي كانت تنذر اختيارياً فانها كانت تصبح ديناً واجب الاداء اذا ما تحقق المطلب الذي نذر الناذر نذره من اجـــله ؛ ومما كان يجري ان الملك قد يفوض الى شيخ او زعـــيم ما استغلال مقاطعة مقابل شروط تدون في عقود وتحـــدد تحديداً دقيقاً .

ومما عرف من نظام الحكم ايضاً في هذه الدولة انه كان لهـــا مجلس شيوخ يسمى « مسود » يتألف من زعماء وكبراء الدولة للمداولة في الشؤون السياسية والمالية والتشريعية . وقد استدل على هذا من كتابة طويلة نوعاً ما عثر عليها مصدرها مدينة معين وتحمل اسم الملك اب يدع يثح . وقد دونت هذه الكتابة بمناسبة قيام جماعة من اشراف مدينة قرنو بترميم خنادق هذه المدينة واصلاح اسوارها وانشاء محلة جديدة فيها . وصاحب هـــذه الكتابة هو « علمن بن عم كرب » من اسرة ذي حذأ ، ورئيس حبآن ومـــواد ـــ اي صديق ـــ ملك معين . وجاء في الكتابة انه قام بهذا العمل تقرّباً الى آلهة معين عثتر ذو قبض ـــ اي معين عثتر في مدينة قبض ـــ وود ونكرح والى ملك معـــين ؛ وان اولاده بؤس ايل ويذكر ايل وسعد ايل ووهب ايل ويسمع ايل ـــ الاسم الآخر نواة اسماعيل على الارجح ـــ ساعدوه فيه ؛ وانه ادى جزءاً من اكلائه من ماله الخاص وسدد الباقي من الهبات التي كانت تقدم للآلهة والضرائب التي تجبيها المعابد ، وان ملك معين ومسود معين ـــ مجلس معين ـــ قد فوضاه بذلك . وقد جاء في النقش ان علمن ذبح القرابـــين للآلهة بعد انتهائه من العمل ، وانه طلب منها حمايـــة هذه المنشآت وطلب من النـــاس المحافظة عليها ودعا بالشر على من يعتدي عليها .

والكتابة تدل في ذات الوقت على اساليب الأعمال في هذه الدولة كما هو ظاهر (٢) . ومن هذا القبيل كتابة اخرى ترجمتها « جعل آل دبر وقفهم ونقوشهم في حماية عثتر

---

(١) جواد علي ج ١ ص ٤٠٥ – ٤٠٧ ، ويظن الباحثون ان اكرب اصل كلمة اقرب التي يرجع اليها اشتقاق القربان والتقريب (٢) جواد علي ج ١ ص ٣٨٨ – ٣٨٩

شرقان وعثتر قبض وود ونكرح وعثتر بهريق وجميع آلهة معين ويثل وجميع آلهــة سبأ وملوك سبأ وشعب سبأ . جعلوها في حمايتهم لمقاومة كل من يغيره او يبيده او يخربه من مكانه في الحرب والسلم ما دامت الأرض (١) » ويظهر من العبارة ان المكان مقبرة او معبد ، كما يظهر ان معيناً كانت في وقت كتابتها خاضعة لسلطان ملوك سبأ مع احتفاظها بكيانها (٢)

- ٥ -

صلة معين بحضرموت

ومما عرف من تاريخ هذه الدولة انه كانت قرابة رحم بــين ملوكها وملوك حضر موت ، وأن رؤساء المقاطعات التابعة لها كانوا يتلقبون بلقب الملك حيث عثر في خرائب قرنو على كتابــة ترجمتها « ان معدي كرب ملك حضرموت وقف حصن خرف للآله عثتر قبض الذي بناه خاله شهر علن بن صدق ايل ملك حضرموت تقرباً للآلهــة عثتر قبض وعثتر شرقان وود ونكرح ولابن اخيه بدع يثع ملك معين ولشعبه وشعب معين (٣) »

وقد وجدت في قرنو كتابة يستفاد منها ان مملكة قتبان فرضت سلطانهـــا على مملكة معين في ظرف من الظروف وظلت هذه المملكة مع ذلك قائمة (٤)

- ٦ -

ومن الحق ان تنوه بمظهر مدني هام من مظاهر مدنية العهد المعيني الذي هو اقــدم عهد معروف شامل السلطان لدولة عربية في الجزيرة ، وهو ما كان للقراءة والكتابة فيه من حظ غير يسير . فقد اكتشفت كما قلنا نقوش معينية كثيرة منها ما يمكن ان يكون من آثار القرن الخامس عشر قبل الميلاد المسيحي ؛ وهي التي ساعدة على معرفة ما عرف من

---

(١) جواد علي ص ٣٩٣ (٢) هذا هو نص الكتابة باللغة المعينية :« ورثد اهل دبر مل اسم واسطر سم عثتر شرقن وعثتر ذو قبض وود ونكرح وعثتر ذو بهريق وكل الالت معن ويثل وكل الالت وشيم هي وامنك وشعب سبأ وجو بن كل ذو يسنكر سم وسناي وختبل بن مقمسهم بضوم وسلمم يمت ارضم « ومن المحتمل ان تكون الكتابة دونت في القرن التاسع قبل المسيح اي بعد تأخر دولة معين وبروز سبأ عليها . والعبارة طور من اطوار اللغة العربية في اليمن في هذا الظرف . وقد احتوت كلمات عديدة بينها وبين الكلمات العربية الفصحى بعض التشابه وان كانت في جملتها وانشائها بعيدة عن الفصحى بعداً كبيراً .

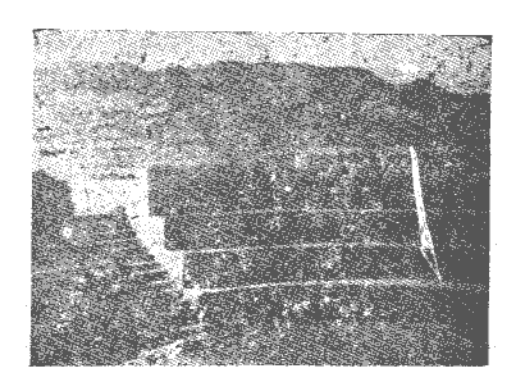
(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ٣٩٢ (٢) نفس المصدر ص ٣٩٠

تاريخ هذه الدولة ومآثرها . ومن المعقول ان يكون بذء الكتابة والقراءة سابقاً لما اكتشف من نقوش معينية بمدة غير قصيرة ، ومن المحتمل ان يكون هناك نقوش اخرى ما زالت تحت الارض تدل على ذلك ، بل اذا اخذنا بقول مؤلفي كتاب مصر قبل الفتح وبعده الذي اشرنا اليه آنفاً وهو ان الذين طرأوا على مصر من جزيرة العرب جاؤوا بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية ، وليس هناك ما ينقض ذلك، صح ان نقول ان اساس الكتابة والقراءة في العالم يرجع الى اليمن والى عهد عريق في القدم ، وان الخط الذي كتبت به النقوش المعينية التي عثر عليها قد كان تطوراً عنه خلال عشرات القرون قبلها . وفي هذا ما فيه من خصيصة هامة من خصائص الجنس العربي ومظهر من مظاهر مدنيته الضاربة في اعماق القدم .

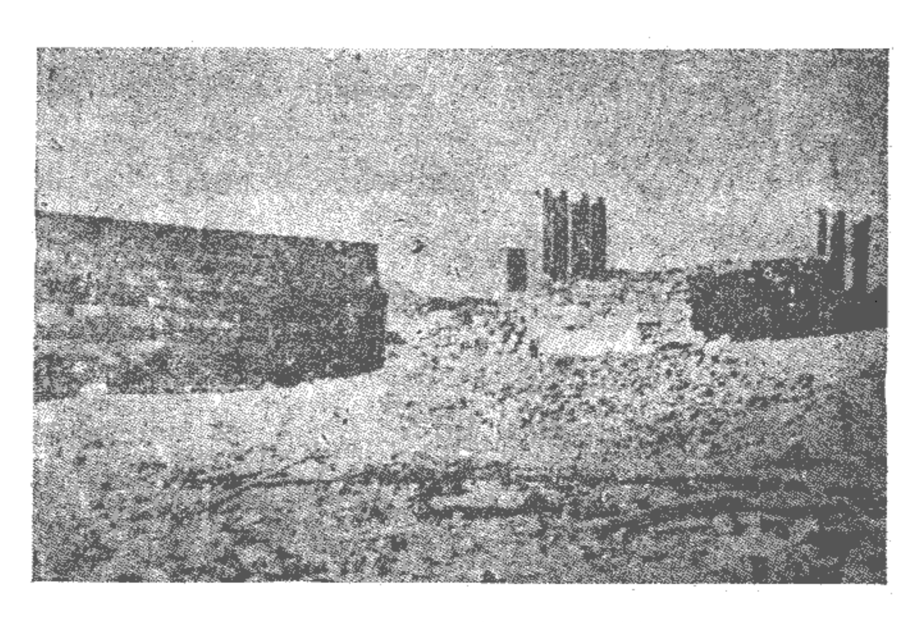
وخط النقوش المعينية يقوم على اساس الخطوط المتعامدة او المتساندة . ولهذا سمي منذ القديم بالخط المسند . وكان لكل حرف علامة خاصة . وكانت الابجدية تتألف من تسعة وعشرين حرفاً . والكتابة تبدأ من اليمين الى الشمال . وقد استمر هذا الخط مستعملا في الدولة السبئية ثم فن الدولة الحميرية بعدها ، بل كان هو الخط الرئيسي في معظم انحاء جزيرة العرب قبل الاسلام (١) . وقد قرر بعض الباحثين انه من المحتمل ان يكون اقدم من الخطوط الفينيقية الكنعانية وان يكون اصلا لها (٢) .

ولقد اكتشفت كما قلنا كتابات كثيرة بهذا الخط في انحاء غير اليمن من جزيرةالعرب ثم في بعض انحاء العراق والشام ومصر بل وجد بعضها في احدى الجزر اليونانية (٣) . وقد قال بعض الباحثين ان انتشار هذا الخط هذا الانتشار الواسع كان إما بطريق الاقتباس او بسبب انتشار نفوذ الدولة المعينية واتساع نطاق تجارتها (٤)

(١ و ٢ و ٣ و ٤) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٩٢ وما بعدها .



خزان لخزن مياه الامطار والسيول مدرج
وراء جبل حصور بني شعيب



« بقايا معبد من معابد مدينة صرورح »

الدولة السبئية

– ١ –

نشوؤها

إن الدولة السبئية كدولة كبرى قامت على انقـاض الدولة المعينيـة على ما دلت عليه الآثار .

والتسمية نسبة الى سبأ . وقد ذكرت سبأ في اسفار العهد القديم في مناسبات عديدة ذكرت كاسم لأحد ابناء عابر بن يقطان كما ذكرت كاسم لابن كوش بن حـام (١) وذكرت في سياق خبر زيارة ملكة سبأ لسليمان الذي كان ملك فلسطين في القرن العاشر قبل الميلاد (٢) ، وذكرت في سياق التنويه بتجارتها وصلاتها التجارية مع مملكة صور الفينيقية التي كانت مزدهرة في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد (٣) . ومعنى ذلك ان وجود سبأ والسبئيين وامراء سبأ يعود الى تاريخ وجود الدولة المعينية .

ولقد عثر على كتابات سبئية كثيرة سجلت احداثاً متنوعة حربية وعمرانيـة ودينية وسياسية تساعد على تدوين حقائق غير يسيرة عن تاريخ هذه الدولة ومآثرها .

ولقد جاء في بعض النقوش ان السبئيين افنوا المعينيين . والغالب ان العبارة تعني انهم اثخنوا فيهم وغلبوهم على السلطان ، لان المعينيين ظلوا يذكرون الى اواسط القرن التالي قبل الميلادوالسبئيون في إبّان سلطانهم ، بل إن مملكة معينية ظلت قائمة في عهدهم حيث ذكرت بعض المدونات اليونانية والنقوش المكتشفة ما يـدل على وجـود مملكة معينية وملوك معينيين في القرن السابع والسادس والخامس والرابع والثالث قبل الميلاد (٤) . والظاهر ان السبئيين غلبوهم على السلطان العام وابقوهم امراء او ملوكاً خاضعين لهم على الطريقة التي كانت جارية .

وقد كان ملوك مملكة سبأ ثانويين يتلقبون بلقب « ذو صرواح » اي صاحب اوامر او ملك صرواح في عهد الدولة المعينية قبل ان يغلبوا ملوك معين على السلطان الشامـل

---

(١) سفر التكوين (٢) سفر الملوك الاول الاصحاح ١٠ (٣) سفر حزقيال الاصحاح ٢٧

(٤) جواد علي ج ٢ ص ١٥١ وما بعد

على ما يستفاد من الآثار . وصرواح مدينة بين صنعاء ومأرب . وهي الآن أطلال تشاهد فيها بقايا عمران قديم واعمدة عليها نقوش بخط المسند . ومن جملتها آثار قصر يطلقون عليه قصر بلقيس وقرىء عليه نقش « محرم بلقيس » كما ان من جملتها آثار معبد للاله المقه الذي يعني القمر والذي كان كبير آلهة السبئيين .

ويرجح ان عبارة محرم بلقيس متأخرة وأن كلمة بلقيس متطورة عن كلمة المقه حيث تطورت هذه الكلمة الى بلقمه ثم الى بلقيس وان الاثر الذي نقشت عليه العبارة تابع لمعبد المقه الكبير في صرواح (١) .

- ٢ -

ويستفاد من الآثار ان المملكة السبئية تطورت في اطوار عديدة بعد ان غدت صاحبة السلطان الشامل من حيث تسمية ملوكها وأسر هؤلاء الملوك . فقد تلقبوا بلقب مكرب ثم بلقب ملك سبأ ثم بلقب ملك سبأ وذو ريدان .

ودور لقب « مكرب » يمتد من القرن الثامن الى القرن السادس قبل الميلاد . ودور لقب ملك سبأ يمتد الى القرن الثاني ودور لقب ملك سبأ وذو ريدان من الثاني قبل الميلاد الى الثالث بعده .

ويظن ان لقب مكرب يتضمن معنى الزعامة الدينية مثل لقب مزواد بالنسبة لملوك معين ؛ والكلمة تعني واسطة القربى الى الاله وهذا يعني رئيس الدين او الكاهن كما هو المتبادر . وكرب وقرب بمعنى واحد او متقارب في اللغة الفصحى التي كانت اللهجات القديمة نواة لها .

مكارب سبأ وحالة الدولة في عهودهم

وقد اختلف الاثريون في اسماء وتسلسل المكارب بعض الشيء بسبب الثغرات والتكرار والغموض في النقوش واضطرارهم الى التخمين والحدس . وهذه قائمة فيهم وضعها فيلبي اقتباساً من النقوش والنقود السبئية :

سمه على ـ يدع ايل ذرح بن سمه على ـ يثع امر وتر بن يدع ايل ـ يدع بين بن

---

(١) المصدر السابق

يثع ـ يثع امر وتر بن سمه على ـ كرب ايل بين بين يثع امر ـ ذمر على وتر ـ سمه على نيف بن ذمر ـ يثع امر بين بن سمه ـ كرب ايل وتر بن ذمر على .

وقد قدر فيلبي عهد المكارب المذكورين بين ٨٢٠ ق م الى ٦٢٠ ق م (١)

وهذه قائمة اخرى فيهم من وضع الاثري هومل :

سمه على ـ يدع ايل ذرح ـ يثع امر وثر ـ يدع ايل بين ـ يثع امر ـ كرب ايل بين ـ سمه على نيف .

وهؤلاء في نظر هذا الاثري هم جمهرة اولى وهناك جمهرة ثانية تتألف من المكارب التالية اسماؤهم :

ذمر على ـ سمه على نيف ـ يثع امر بين ـ ذمر على ـ كرب ايل وتر (٢) .

اما تقرير سلطان سبأ الشامل في دور المكارب بحوالي ٨٢٠ ق م فيبدو فيه شيء من التأخر . فقد ذكرت سبأ في سفرحزقيل ووصفت بالازدهارالتجاري في ظروف ازدهار مملكة صور حوالي القرن التاسع ق م . والمعقول ان يكون بدء هذا الازدهار في مدة سابقة بامد غير قصير . واذا كان سفر حزقيل لم يدون في هذا الظرف فانه دون على الاقل بعده بقليل ، ولا بد من ان ما جاء فيه مستند الى وثائق وشواهد متواترة وقائمة . وهذا ما جاء في هذا السفر عن سبأ « تجار شبا ورعمه هم تجارك . بافخر انواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب اقاموا اسواقك . » وقد ذكرت سبأ كذلك في سفر الملوك الاول في سياق ذكر زيارة ملكة سبأ لسليمان الذي كان حكمه في القرن العاشر قبل الميلاد. والكلام عن الزيارة جاء باسلوب يدل على ان مملكة سبأ كانت على حظ عظيم من الثروة والحضارة حيث ذكرت بهذه العبارة « وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت ممتحنة بمسائل وأتت الى اورشليم بموكب عظيم جداً . بجمال حاملة اطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة . » ونحن نعرف ان بعض الباحثين يشكون في صحة وقوع هذه الزيارة او على الاقل في صحة نسبة هذه الملكة الى الدولة السبئية اليمنية وينكرها بعضهم ويقول آخرون انها ملكة جالية سبئية كانت تقيم في طرف من اطراف الجزيرة الشمالية . ومما يستند اليه المنكرون انه لم يرد في النقوش رسم ملكة ملكت هذه المملكة. وليس هذا سبباً كافياً للانكار . فوجود مملكة سبئية يمنية في القرن التاسع قبل الميلاد امر يقيني . وليس هناك ما ينفي وجودها في القرن العاشر بل وقبله . والاتصال بين مملكة سبأ اليمنية

---

(١) جواد علي ج ٢ ص ١٥١ وما بعد (٢) جواد علي ج ٢ ص١٤٧ وما بعد



نقود من الفضة من عهد ملوك سبأ وذي ريدان

وبين فلسطين مركز سليمان قائم ميسر عن طريق العقبة ؛ وكان شرق الاردن الى العقبة في نطاق سلطان سليمان ؛ وكان له على خليج العقبة ثغور منها ثغر ايلات : وكان له اساطيل تجارية تمخر في البحر الاحمر . وقد وصف كتاب اليونان طيوب اليمن وذهبها وحجارتها الكريمة بما يطابق ما جاء في السفر من وصف موكب سبأ وهدايا الملكة . وسفر حزقيل يذكر سبأ بما اشتهرت به من الطيب والذهب والحجارة الكريمة ايضاً . واذا لم يكن قد عثر على اسم ملكة لسبأ فلا يعني هذا انه لم يعتل عرش المملكة ملكة . ولا يبعد ان تكون الزائرة زوجة الملك . وقول القائلين ان الملكة التي زارت سليمان هي ملكة جالية سبئية في اطراف الجزيرة برغم غرابته يعني انه كان هناك شعب سبئي معروف نزحت منه جاليات واستقرت في اطراف الجزيرة ، وفي هذا دلالة على ان دولة سبئية يمنية كانت قائمة في عهد سليمان بل وقبله ايضاً . . .

وفي القرآن اشارة الى ملكة سبأ وصلاتها بسليمان . والوصف الذي ذكرت به يدل على ان الملكة كانت ذات قوة وثروة وانه كان لها مجلس تستشيره في الأمور المهمة كما يتضمن انها كانت تعبد الشمس وكل هذه الاوصاف تنطبق على مملكة سبأ اليمنية في القرن العاشر . ولئن كان قصص القرآن يرد في القرآن في معرض العظة والانذار فانه مما كان غير مجهول من السامعين وفي هذا ينطوي كون هذه الاوصاف مما كان يتناقله العرب جيلا بعد جيل عن سبأ وعهدها .

والعرب يسمون الملكة باسم بلقيس ولكن القرآن لا يسميها . ولا يبعد ان يكون الاسم قد جاء الى العرب ومدوناتهم من نقش « محرم بلقيس » الذي قرىء على بعض آثار صرواح على ما ذكرناه قبل .

- ٣ -

نظام الحكم في عهد المكارب (١)

والمكارب كما يبدو من القائمة الاولى من أسرة واحدة . وهي تنتمي الى عشيرة اسمها فيشان كانت صاحبة الملك او الامارة في صرواح على ما يستفاد من الكتابات الأثرية.
وقد انشأ المكارب الاولون بعد اتساع سلطانهم مدينة مأرب وانتقلوا اليها من

(١) مرجع محتوى هذه الفقرة العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ١٠٠ — ١٥٤

صرواح التي ظلت مقام امارة فيشانية . ولا يعرف على وجه التحقيق متى تم هـذا وان كان يخمن انه وقع في مدة غير بعيدة من ظفر امراء صرواح بالسيادة الشاملة حيث عثر على كتابات من عهد المكرب يثع امر بين تسجل تجديد ابواب المدينة ، حيث يعني هذا ان مأرب كانت قائمة قبل عهد هذا الملك الذي كان في اواسط القرن الثامن ق م .

ويستفاد من النقوش ان نظام الحكم في عهد المكارب كان على اساس الاقطاع ايضاً بحيث كان في المناطق والمدن والقبائل زعماء يمارسون السلطان المحلي تحت سيادة المكرب يسمون « قول» او « كبر »فيجبون الضرائب ويدفعون لخزينة الدولة حصتها ولخزينة المعبد حصته ويقدمون ما يفرض على المنطقة من الجند ، وكان لكل مجتمع مجلس او نـــدوة شيوخ تسمى « عهرو » مقابل مسود أو مزود في النظام المعيني يجتمع فيها شيوخ المجتمع وزعماء اسره للمداولة في الشؤون العامة ، وكان في العاصمـــة الى جانب المكرب مجلس اعلى للمداولة في شؤون الدولة ، وكان بـــين المناطق والمشيخات الاقطاعية تعـــاون اقتصادي .

وقد عثر على نقوش تدل محتوياتها على شدة عناية المكارب بالسدود وتنظيم الري . وهم الذين انشأوا سد مأرب العظيم المجاور للعاصمة والمسمى باسمها والذي لا تزال آثاره قائمة تشهد على عظمة هذه الدولة وبراعة مهندسيها . وقد جاء في كتابـــة « ان المكرب ذمر على وتر امر بتوسيع مدينة نشقم واصلاح الارضين المحيطة بها وتحسين نظام ريها » وهذه المدينة من المدن المعينية المهمة ضمها مكارب السبئيين الى حكمهم المباشر . وعثر على كتابة من عهد المكرب سمه على نيف تذكر تعميره لسد « رحبم » للسيطرة على مياه الامطار والاستفادة من السيول . ومما جاء في الكتابة ان المكرب ثقب الحجر وفتح ثغرة فيه لمرور المياه منها الى سد رحبم ليسيل الى منطقة يسرن . وعثر على كتابـــة من عهد المكرب يثع امر بين تذكر ادخال تحسينات كبيرة على سد مأرب وانشاء فروع جديدة له وتوسيع رقعة ارض مأرب الزراعية وانماء ثروتها بذلك ، وتـــذكر كذلك انشاء سد خبيص او توسيعه وانشاء سد مقرن وايصال مياهه الى ابين وانشاء سد يثعن وايصـــال مياهه الى ابين وانشاء سد سهنيت وكهلم الواقع مقابل طرقل .

وهذه المشروعات الاروائية لم تكن مشروعات اروائية عادية بل كانت مشروعات هندسية بارعة يصح ان توصف بانها من اهم المشروعات العالمية في حينها بل يصح ان توصف بانها ثورة في عالم الهندسة والفكر ندر ان قام بمثلها مملكة اخرى كما قال جواد علي في الجزء الثاني من كتابه (ص ١٣٠)

وقد كانت مصدر خير ورفاه لليمن قروناً عديدة . وليست طرافتها لأنهـا تنظيم إروائي فقط بل لانها تتضمن فكرة ابداعية بحجز ميـاه الامطار والسدود في خزانات صناعية كبيرة وتنظيم الري منها . ولقد حول سد رحبم منطقة اذنه التي ربما كانت كلمة « عدن » متطورة منها الى جنات ترى آثارها الى الآن وتعد من مفاخر الجنس العربي بل الجنس الانساني في التاريخ القديم . وقد ظلت اخبار وآثار هذه الجنات وما تمتع به اهل سبأ من رفاه وما انتشر فيها من عمران نتيجة لهذه المشروعات العظيمة تروى الى عهـد النبي فذكرها القرآن في معرض العظة والانذار في آيات السورة التي انعقـدت على سبأ كما ترى فيما يلي:

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيهـا السير سيروا فيها ليـالي واياماً آمنين (١) . فقالوا ربنا باعد بـين اسفارنا وظلموا انفسهم وجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق . إن في ذلك لآية لكل صبار شكور »

ويستفاد من نقش خلفه سنحاريب الأشوري الذي حكم في القرن الثـامن (٢) ان الصلات بين المملكة السبئية وبين المملكة الاشوريـة الـتي كانت اعظم ممالك الشرق الاوسط حينئذ كانت ودية حيث ذكر النقش ان سنحاريب تسلم هدايا من كرب ايل ملك سبأ بمناسبة بنائه معبد بيت اكيتو للاحتفال فيه بعيد رأس السنة والاعياد الأخرى وانه كان من جملة الهدايا احجار كريمة وافخر انواع الطيوب ذات الرائحة الطيبة وفضة وذهب واحجار ثمينة اخرى مما يتطابق مع الاوصاف التي اشتهرت عن هذا القسم من الجزيرة العربية .

– ٤ –

عهد المكروب يثع امر (٣)

وقد سجلت الكتابات عن عهد المكرب يثع امر ما يستدل منه على انه كان أعظم

(١) في العبارة دلالة على ما كان من كثرة المدن والقرى واتساع العمران

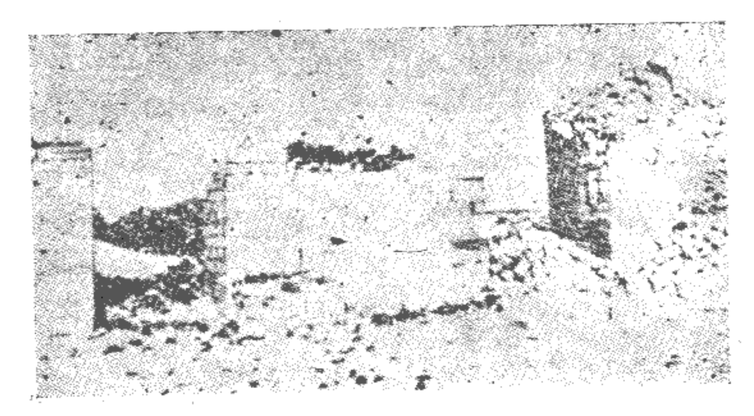
(٢) جواد علي تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ١٢٥

(٣) مرجع محتوى هذه الفقرة المصدر نفسه ص ١٠٠ – ١٥٤

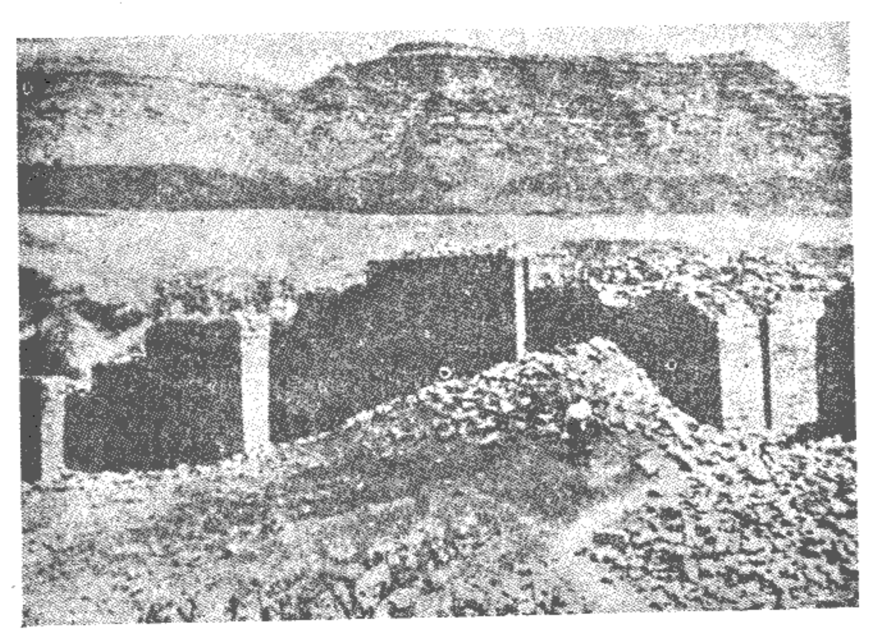
المكارب بسعة سلطان ونشاط عمران وقوة حربية .

ويستفاد منها انه عني عناية كبيرة بتوسيع وتحسين مدينة مأرب فانشأ فيها بنايات عديدة وحصنها بابراج قوية واقام لها بابين كبيرين جديدين ، وانه انشأ معابد عديدة في اماكن مختلفة من مملكته ، ووسع سطوته حتى شملت معظم مملكتي معين وقتبان .

واحتوت الكتابات تفصيلات متنوعة لحروبه ونتائجها . وقد جاء فيها فيما جاء انه هاجم القتبانيين وقتل منهم زهاء ٤٠٠٠ في عهد ملكهم سمهوتر ثم هاجم المعينيين وانتصر عليهم واخضع القبائل والمدن التي لم تكن قد خضعت لسلطانه الى ارض نجران ، واوقع بمهامرم — التي يظن انها امارة اقطاعية كبيرة — خسائر عظيمة حيث قتل من اهلها في المعارك التي وقعت قرب نجران زهاء (٤٥) الفاً واسر (٦٣) الفاً وغنم (٣١) الف رأس ماشية واحرق ودمر عدداً من قراها ومدنها ومن جملتها مدينة رجمت عاصمة ملكها لعذر ايل والمدن الواقعة بينها وبين نجران . ومما ذكر في الكتابات ان بعض امارات وملوك المقاطعات والممالك التي كانت خاضعة لمملكة معين ودخلت تحت سلطان الدولة السبئية حاولوا التمرد على هذا السلطان في عهد هذا المكرب فسارع الى التنكيل بهم. وقد زحف اولا على مملكة اوسان وقهر ملكها مر توم وقتل من جيشه (٢١٥٠٠) وأسر (٥٤٠٠٠) وفي الكتابات الاوسانية المنقوشة على جدران قصر الملك التي تذكر ما كان في ظرف سابق من انتصار الاوسانيين على السبئيين ونقش مكانها نقوشاً تقص اخبار انتصاره عليهم ، وامر بضم سروم وتوابعها وجمدان وتوابعها الى مملكته ، ثم اوقع بمدينتي دهس وتبنى اللتين كانتا حليفتين لاوسان قتلا واسراً وتحريقاً واعلن ضمهما الى مملكته . وجاء في احدى كتاباته ان سما ورشاي والاراضي الممتدة من حيرون الى فسد وعرمو وكذلك جميع المدن والنواحي التابعة لكحد وسين ومدن اثبح وسبع ورعم وجميع منطقة عبدان وجميع اهل عبدان الاحرار والارقاء ومدن وثينه وميسرم وتبرم وحرتو وكل ارض تبرم حتى البحر وجم وسكانها وكل المدن من نفض الى دهس والسواحل ومناطق ايل وسلعن وعيث ونبث ومدنها ومزارعها وجميع ما يملكه مرتوم ملك اوسان في دهس وتبنى ويخم وجميع سكان هذه المناطق من احرار وعبيد وكبار وصغار كل ذلك قد غدا ملكاً خاصاً لسبأ وآلهة سبأ . » ثم زحف بعد تنكيله الشديد باوسان على مناطق سبل وهرم وفنن لمعارضتها له فقتل ٣٠٠٠ وأسر ٥٠٠٠ وغنم ١٥٠٠٠٠ رأس ماشية ، وعلى مدينتي امرم ومهامرم فقتل ٥٠٠٠ واسر ١٢٠٠٠ طفلا رقيقاً وغنم ٢٠٠٠٠٠ رأس ماشية ودابة وفرض على اهلها الجزية بعد تدمير ما شاء منها ووضع يده على ما فيها من سدود ، ثم



من بقايـا سد مـأرب



بقايا سد ابنه من سدود مملكة سبأ



محاربان سبئيان حفرا على حجر و كتب
عليه اسماهما وهما وهب ايل وسعم

زحف على مدن نشان وكمنهو وهرم فانتصر على ملوكها سي يفع ونبط على ويذمر وقتل من جيوشهم ٣٠٠٠ واسر ٥٠٠٠ وغنم ١٥٠٠٠٠ رأس ماشية وصادر اراضـي نشان الزراعية وجميع السدود التي تنظم ريها مثل صلم وحرمت وماء مذاب ، وهدم قصر ملك نشان ، وفرض كفارة على كهنة المدينة واسكن فيها جالية سبئية ، واجبر اهلها على انشاء معبد لاله سبأ المقه وسط المدينة ، واستولى على ماء ذو فقس وسد ذات ملك وقه ثم على مدن يدهن وجزيت وعريم وفرض عليها الجزية ، ثم على مدينة طيب من عم وقه ملك مرم وعلى املاك هذا الملك في عقى نجى وافقن وحرتن والجبال والسهول التي تحيط بها واودية مرس ومراعيها ، وغلب حضرهمو ملك منعلم وانتزع منه منطقة شعبهم واوديتها ومراعيها ومشرر ودنم وسجو ، وغلب رأيم بن خال مر ملك وقيم واستولى على ما كان يملكه من مدن واراض زراعية ومناطق تسقيها السهول ، وغلب خال كرب ملك غرب واستولى كذلك على كل ما يملكه من مصيفت الى مدينـة طيب ، ثم اتجـه نحو الشمال فزحف على منطقة نجران واخضع قبائلها عوهب ومعهر وامرم بعد ان قتل منها ٥٠٠٠ واسر ١٢٠٠٠ وغنم ٢٠٠٠٠ رأس ماشية ، وعاد بعد هذا الى صرواح ليشكر آلهته على الانتصارات التي يسرتها له في الشمال والجنوب وجعلته صاحب السلطان الاعلى على جميع بلاد اليمن ويقدم لها القرابين ويجدد معابدها ويكسو اصنامها ويبتهل اليها لتساعد سبأ وتؤلف بين قلوب ابناء الاله المقه ، وليسجل اعماله وانتصاراته هذه فترك بذلك وثيقة سبئية هامة لعلها اهم وثائق اليمن او من اهمهـا وهي التي تعرف عنـد الاثريين بنص صرواح . وقد تقصدنا سرد ما سردناه من مدن واراض وغنائم وامارات لنلفت النظر الى ما كان من استبحار العمران في هذه البلاد في القرن السابع قبل الميلاد ، ولأن في ذلك صوراً لحقبة من حقب التاريخ اليمني السبئي .

ومما احتواه النص ان الملك اختص نفسه وعشيرته بمدن وارضين جديدة مما استولى عليه ، حيث ذكر انه وهب لنفسه ولعشيرته فيشان اراضي ومدن تلفنى وحنوت ورداع ومنيعة ومحرتم وتمنع واوعلان وموثبتم وكيدار وطيب وسقى نجى وافقن وحرنن واودية مرسى ومراعيها .

وقد ظل ملكا حضرموت وقتبان على ما يستفاد من الوثيقـة مخلصين في ولائهما له وساعداه في حروبه وانتصاراته فكافأهما باعطائهما مدناً وارضاً اوسانيـة كانت على ما يبدو من مملكتيهما واستولى عليها ملوك اوسان في ظرف من الظروف .

وقد ابقى بعض الملوك الذين غلبهم على رأس اماراتهم وممالكهم بعـد ان اعلنوا

ولاءهم له على ما يستفاد كذلك من الوثيقة . ولم يرد ذكر لمملكة معين وعاصمتها قرنو في هذه الوثيقة مما جعل الاثريين يخمنون ان المملكة المعينية بعد ان فقدت سلطانها الشامل انقسمت الى الممالك التي حاربها المكرب يثع امر هذا وانتصر عليها وان مملكة قرنوظلت خاضعة فسلمت من تنكيله .

وقد اهتم على ما يستفاد من الوثيقة ايضاً بعد ان استتب له هذا السلطان الشامل الواسع لاصلاح ما افسدته الحروب فعمر اسوار كثير من المدن ورمم ما تهدم من السدود وحفر ما ردم من الآبار والعيون والجداول ومسايل المياه وانشأ سدوداً جديدة لحصر مياه المطر وتنظيم الري .

ومن طرائف الوثائق التي دونها هذا المكرب نقش سجل فيه خبر تشييده مذبحاً عند باب « توم » احتفاء بموسم الصيد المخصص للاله عثتر مما يدل على انه كان لمكارب سبأ وربما لملوك اليمن جميعهم مواسم معينة للصيد وانهم كانوا يقدمون لمعبوداتهم تقدمات لتبارك لهم موسمهم .

- ٥ -

دور الملكيه في سبأ (١)

وقد جنح هذا المكرب على ما يستفاد من الوثيقة الى استبدال لقبه بلقب الملك او زيادة لقب الملك الى لقب المكرب بعد ان اتسع سلطانه هذا الاتساع فكان آخر مكارب سبأ واول ملوكها .

ومن الغريب انه بينما ظهر من هذا الملك هذا النشاط والطموح وتمكن من بسط سلطانه الشامل بالقوة على جميع اليمن يذكر نقش لسرجون الثاني ملك اشور ٧٢٢ـ٧٠٥ انه تقاضى منه الجزية في جملة من تقاضاها منهم . وسرجون هذا ابو سنحاريب الذي ذكرت نقوشه ان كرب ايل السبئي هاداه بهدايا من الحجارة الكريمة والطيوب والذهب والفضة على ما اشرنا اليه قبل قليل . وكرب ايل هذا هو الملك الذي خلف يثع امر في الملك ، ولعل المتسق مع الوقائع اكثر ان يكون قد قام بين الملكين صلات ودية كان من مشاهدها تبادل الهدايات وان هذا قد استمر في عهد خلفيهما سنحاريب وكرب ايل .

---

(١) محتوى هذه الفقرة مقتبس من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ١٥٥ — ١٩٨

ولقد استمر دور الملوك السبئيين الذي بدأ به الى سنة ١١٥ ق م اي نحو خمسةقرون. وتعاقب على الملك عدد كبير من الملوك ليسوا من اسرة واحدة كما كان المكارب . وقد وضع فيلبي استنباطاً من النقوش والنقود قائمة بهم كما يلي :

١ ــ كرب ال وتر	بدء حكمه حوالي	٦٢٠ ق م
٢ ــ سمه على ذرح ويظن انه ابن الاول	»	٦٠٠ »
٣ ــ كرب ال وتر بن سمه على ذرح	»	٥٨٠ »
٤ ــ الشرح بن سمه على ذرح	»	٥٧٠ »
٥ ــ يدع ال بين كرب ال وتر	»	٥٦٠ »
٦ ــ يكرب ملك وتر بن يدع ال بين	»	٥٤٠ »
٧ ــ يثع امر بين بن يكرب	»	٥٢٠ »
٨ ــ كرب ال وتر بن يثع امر	»	٥٠٠ »
٩ ــ سمه على نيف	»	٤٨٠ »
١٠ ــ الشرح بن سمه على نيف	»	٤٦٠ »
١١ ــ ذمر على بين بن سمه على	»	٤٤٥ »
١٢ ــ يدع ال وتر بن ذمر على	»	٤٣٠ »
١٣ ــ ذمر على بين بن يدع ال وتر	»	٤١٠ »
١٤ ــ كرب ال وتر بن ذمر	»	٣٩٠ »
١٥ ــ الكرب يهنعم (١)	»	٣٥٠ »
١٦ ــ كرب ال وتر	»	٣٢٠ »
١٧ ــ وهب ال	»	٣١٠ »
١٨ ــ اتمار يهنعم بن وهب ال	»	٢٩٠ »
١٩ ــ ذمر على ذرح بن اتمار	»	٢٧٠ »
٢٠ ــ نشأ كرب يهنعم بن ذمر	»	٢٥٠ »
٢١ ــ ناصر يهنعم (٢)	»	٢٠٠ »
٢٢ ــ وهب ال يحز	»	١٨٠ »

(١) ترك فيلبي فجوة عشرين عاماً بين هذا والذي قبله وقال عن هذا انه من الاسرة المالكة الثالثة مع انه لم يذكر احداً من السابقين باسم الاسرة الثانية .

(٢) ترك فيلبي فجوة ثلاثين عاماً بين هذا والذي قبله وقال عن هذا انه من الاسرة الرابعة .

٢٣ ــ كرب ال وتر يهنعم بن وهب	«	١٦٠ «
٢٤ ــ فرعم ينهب (١)	«	١٣٠ «
٢٥ ــ الشرح يحضب بن فرعم	«	١٢٥ «

وقد اورد جواد علي (٢) قائمة وضعها هومل الاثري في ملوك سبأ تختلف بعض الشيء عن قائمة فيلبي ، وقد رتب هومل قائمته على اساس تعاقب اسر ثلاث على عرش سبأ ، وقد بدأت الأسرة الاولى بكرب ايل وتر وهو مكرب وملك معاً . وهذا يعني ان الاسرة الاولى هي امتداد لاسرة المكارب السابقة الفيشانية .

وهذه اسماء الملوك الذين تولوا بعد كرب ايل وتر والذين يرجح انهم من اسرته :

سمه على ذرح = الشرح بن سمه على = كرب ال وتر بن سمه على ذرح = يدع ال بين بن كرب ال وتر = يكرب ملك وتر = يثع امر بين = كرب ال وتر .

وهذه اسماء ملوك الاسرة الثانية على رأي هومل . ويقول هذا انها اما ان تكون خلفت تلك مباشرة او بعد فترة تقدر بنحو خمسين سنة ويقدر بدء حكم هذه الاسرة بين ٤٥٠ و ٤٠٠ ق م ولا يذكر العشيرة التي تنتمي اليها هذه الاسرة :

سمه على نيف = الشرح = ذمر على بين .

وهذه اسماء ملوك الاسرة الثالثة التي تنتمي الى عشيرة مرتد من قبيلة بكيل:

وهب ال = اتمرم يهنعم ابنه = ذمر على ذرح = نشأ كرب يهنعم = نصرم يهنعم = وهب ال يحز = كرب ال وتر يهنعم = فرعم ينهب .

وفي آخر القائمة يقول جواد علي عزواً الى هومل ان الملك الكرب يهنعم بن حم عثت وكرب ال وتر هما من جمهرة جديدة من جمهرات ملوك سبأ مع ان الاسم الاول من الاسمين لم يذكر في عداد اسماء هومل وانما ورد في عداد اسماء فيلبي .

والمستفاد من النقوش والدراسات التي ذكرها جواد علي (٣) ان دور ملوك سبأ هذا قد تخلله منافسات شديدة على الملك ادت الى حروب وانقلابات عديدة ، وقد استمر الملك في الأسرة القديمة الفيشانية نحو مئتي سنة ثم ازاحتها عنه اسرة جديدة بدأت بالملك

---

(١) قال فيلبي قبل ذكر هذا الاسم ان برم ايمن وابنة علهان نهفان اغتصبا العرش في حدود سنة ١٤٥ الى سنة ١١٥ ق م وهما مكونا الاسرة الهمدانية المالكة . ومعنى هذا ان فرعم وابنه الشرح كانا ملكين بينما كان برم ايمن وابنه علهان ملكين في الوقت نفسه .

(٢) العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ١٩٤ — ١٩٦

(٣) العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ١٥٥ — ١٩٨

سمه علي نيف على رأي هومل وكرب يهنعم على رأي فيلبي استمرت حاكمة نحو مئة سنة ثم ازاحتها اسرة جديدة من عشيرة مرثد بدأت بالملك وهب ايل على رأي هومل وناصر ينعهم على رأي فيلبي ثم نافست هذه الأسرة اسرة اخرى من عشيرة بتع وهي فرع من قبيلة حاشد الكبرى فنادى برم ايمن زعيمها بنفسه ملكاً لسبأ ، ولم تقبل الأسرة المرثدية الهزيمة حيث ظلت متمسكة باللقب معتبرة الأسرة البتعية مغتصبة، فكان ملكان لسبأ في وقت واحد وهما برم ايمن البتعي وفرعم ينهب المرثدي وخلف كلا منهما اولاد ظلوا يتنازعون اللقب ويمارسونه معاً الى ان خرج من الاسرتين الى اسرة حميرية .

= ٦ =

صور متنوعه عن دوله سبا في دور الملوك (١)

ولقد عثر على كتابات عديدة تعود الى دور ملوك سبأ وتسجل احداثاً متنوعة له بعضها غامض ومبتور . وقد رأينا ان ننوه بما فيها من صور لتاريخ وحياة البلاد في هذا الدور .

منها كتابة ذكرت ان الشرح بن سمه علي اقام جدار معبد المقه ورمم ابراجه وحفر الخنادق حوله وفاء بنذر انذره ان اجاب الاله دعاءه وقد فعل ويسر امره واعطاه ما اراده فسجل شكره له ولبقية آلهة سبأ عثتر ودهس وهوبس وذات حمم وذات بعدان . ومجد اسم والده سمه علي ذرح واسم اخيه كرب ايل وليس في الكتابة ما يدل على ماهية الحادث المشكور .

ومنها كتابة تعود الى عهد الملك يدع ايل بين دونها تبع كرب بن ذمر يدع من آل مذمر وصف فيها نفسه بانه « رشو ذات غضرن قين سحر وقين يدل ال بين » ، وكلمة رشو تعني كاهناً وكلمة قين تعني وظيفة من وظائف البلاط الملكي ، وقد ذكر في الكتابة انه بنى مع ابنائه وسائر اسرته جدار معبد المقه وحفروا خنادق وشدوا ابراجاً شكراً لهذا الآله وبقية آلهة سبأ لانها انعمت عليه بالتوفيق في عقد صلح بين ملك سبأ وملك قتبان عرض شروطه على ملكه يثع امر بين في مأرب فوافق عليها وذلك بعد حرب استمرت خمس سنين ، وكانت قتبان هي المشعلة لنارها بهجومها على ارض سبأ . وقد عهد الملك الى تبع هذا بامر الدفاع عن المملكة فتمكن من رد الغزاة ثم عقد الصلح . وقد حبس

(١) محتوى هذه الفقرة مقتبس من المصدر السابق ايضاً .

تبع املاكاً واسعة في وادي اذنه الخصيب على اعمال البر وخدمة الآلهة تعبيراً عن شكره . ويستفاد من الكتابة ان مملكة سبأ لم تكن قوية حينئذ فعد القائد الصلح نعمـــة استحقت هذا الشكر كما يستفاد منها ان مملكة قتبان الـــتي كانت خضعت لسبأ عادت فاستردت سيادتها ووقفت تقاومها بل وتهاجمها .

وفي كتابات اخرى تعود الى عهود ملوك سبأ بعد يدع ايل بين مثل يكرب وتر ويثع امر بين اشارات الى تجدد الحروب بين سبأ وقتبان . ولقد اشتدت المنافسة بين ملوك سبأ واسرة سبئية اخرى في هذه الفترة اغتنم القتبانيون فرصتها فاستردوا سيادتهم واخـــذوا يعكرون صفو ملوك سبأ ، واغتنمت الاسرة المنافسة من ناحيتها فرصـــة المصاولة التي اشتدت بين ملوك قتبان وملوك سبأ فضربت ضربتها ونجحت في ازاحة الاسرة المالكة القديمة عن العرش والاستيلاء عليه على ما يستفاد من النصوص . وكان ذلـــك حوالي القرن الرابع قبل الميلاد .

على ان الصيال لم ينته بين سبأ وقتبان حيث تشير النصوص الى استئنافه في عهد سمه علي نيف اول ملوك الاسرة الجديدة .

ولقد استمرت مملكة سبأ قائمة الى القرن الاول قبل الميلاد ثم استمرت بعـــد ذلك بعناوين جديدة وهي « ملوك سبأ وذو ريدان » ثم « ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت » على ما ذكرناه قبل في حين ان قتبان لم تعد تذكر كمملكة منذ القرن الاول قبل الميلاد مما جعل الباحثين يخمنون ان مملكة سبأ انتصرت عليها في النهاية فاخضعتها لسيادتها اولا ثم ابتلعتها .

ومن الكتابات السبئية التي عثر عليها كتابة تعود الى عهد يكرب ملك وتر فيها تأييد لقانون صدر في عهد ابيه لقبيلتي سبأ ويهبلح باستغلال الارض واستثمارها مقابل ضرائب معينة تدفع للدولة وعدد معين من الجنود يخدمون في الجيش . وفي النص اسماء وقبائـــل اخرى منها قبيلة اربعن التي كانت تحت حكم ملك اسمه نبط ايـــل مما فيـــه الدلالة على اسلوب الحكم الاقطاعي الذي كان جارياً . وقد جاء في الكتابة هذه الجملة « سمعم ذت علم » ثم جاء بعدها اسماء عدد من الاشخاص وهم يكرب ملك وعمر امر وسمه كرب بن كربم وهلك امر بن حز فرم وعمر امر بن حز فرم ويكرب بن مترم وسمه امر بن هلكم ومعدي كرب ذو خلقن وسمه كرب ذو ثورتن ونبط ايل ملك اربعن . وقـــال الذين درسوا النص ان جملة « سمعم ذت علم » والاسماء بعدها تعني ان اصحاب هذه الاسماء قد سمعوا وعلموا هذا الباب او شهدوا عليه او وافقوا عليه الخ .

وقد ارخت الكتابة بالسنة الثامنة (ثمنم) من سني ذي نيسلم من سني نشأ كرب بن كبر خلل ، حيث يستفادانهم كانوا يؤرخون بالاحداث الهامة للاشخاص والوقائع وهي العادة التي جرى عليها الجنس العربي في الجزيرة وخارجها .

ومن هذا الباب كتابة اخرى تعود الى عهد « كرب ايل وتر » وهي امر ملكي اصدره هذا الملك الى كبار الموظفين والمشايخ الذين خولوا جمع الضرائب من الشعب مثل رؤساء « ترجت وفيشان واربعن وكبر صرواح يثع بن كرب ذرح » في شهر فرع ذي يلم من سنة هلك امر . وقد وقع عليه وشهد بصحته كرب ال يهصدق من قبيلة ذي ينعان واب امر بن حز فرع واب كرب من قبيلة زحتن وعم يثع بن مونسان ولحى عث بن ملحان من قبيلة اربعن واشد ذخر بن قلزان ونشأ كرب ابن نرحتان . والظاهر ان الغرض من ذكر اسمائهم هو بيان كونهم وافقوا والتزموا بدفع الضرائب وفق الشروط التي تم الاتفاق عليها . وكان الرؤساء على ما يستفاد من الكتابات هم الذين يتولون جباية الضرائب من قبائلهم والتابعين لهم ويوردونها لخزينة الدولة ، وكانت الضرائب تجبى نقداً حيناً وغلة كالبخور والثمار والطحين حيناً ، وكانت الغلات تخزن في مخازن الحكومة لترسل الى الاسواق الداخلية والخارجية وتباع على حساب الحكومة . وفي كل هذا صور من صور الحكم واساليب العمل به .

ومن الكتابات التي عثر عليها كتابات يستفاد منها ان كهان معابد المقه كانوا يشرفون على اوقاف هذه المعابد وينفقون ريعها على عمارتها واعاشة رجالها كما كانوا يتقاضون ضرائب معينة باسم الآلهة بحيث كادوا يكونون دولة داخل دولة . وكانوا يؤجرون اراضي المعابد لشيوخ القبائل الذين يتعهدون باسم قبائلهم بوفاء ما اتفق على دفعه للكهان . وكانت العقود توقع في المعابد وتعلن في الاماكن العامة ليطلع الناس عليها ، وكان لها قدسية بحيث يعد الاخلال بشروطها مستوجباً لغضب الآلهة على الناس فتبتليهم بالفقر والجوع والمرض والجدب . وقد عثر على كتابة تعهدت فيها قبيلة مرثد التي كان منها الاسرة المالكة الجديدة لمعبد المقه بالوفاء بالشروط المدونة في العقد والتمست فيها من الآلهة ان تهبها غلة وافرة ومحصولا جيداً . ويظهر ان رؤساء القبيلة لم يوفوا بما عاهدوا عليه — وربما كان ذلك منهم اركاناً على انهم ذوو الملك — ولم يسلموا الحصة كما ينبغي ، ووقع جدب انزل اضراراً بمرثد ففسر الكهنة ذلك بغضب رباني ارسله المقه على الناقضين فجنح الرؤساء الى التكفير عما بدر منهم والوفاء في الموسم القادم وجددوا العهد واكدوا فيه وفاءهم على ما يستفاد من كتابة اخرى عثر عليها ايضاً .

ويستفاد من النصوص التي تعود الى عهد الأسرة المرثدية ان ملوكها لم يهنأوا بملكهم وان كثيراً من القبائل والامراء وقفوا في وجوههم واتعبوهم .

وقد جاء في نقش ان صاحبه الذي سقط اسمه قدم تمثالا الى الاله تالب ريم بعل شعرن - رب مدينة شعرن او معبد تافب ريم في مدينة شعرن - لان شمل برعايته وحمايته اشار يهنعم - وهو من ملوك مرثد - ملك سبأ فحفظه ورده سالماً من الحرب . وجاء في نقش آخر خبر حرب نشبت بين احد ملوك هذه الأسرة وقبيلة حمير وكان ملك حضرموت خليفاً للملك السبئي فيها فهاجمت جيوش سبأ الحميريين من الشمال وجيوش حضرموت من الجنوب وحاصروهم في موقع « ذات العرم » وكبدوهم خسائر فادحة . وذكر في نقش ثالث ان نشأ كرب يهنعم - وهو من ملوك مرثد - قدم الى تنف بعلة ذي غضرن اربعة وعشرين تمثالا من الذهب لسلامته وسلامة بيته وعافيته وعافية اهله ولتبعد عنه الشر وكل ضرر يريده ، الشانئون . وذكر في نقش رابع ان ناصر يهنعم - وهو من ملوك مرثد - قدم لحامية تالب ريم بعل حدثت صنماً وذلك لسلامته وعافيته . وذكر في نص خامس دونه جماعة من همدان بمناسبة انشائهم بيتاً لهم في وتران قالوا انهم جعلوه في حماية حاميهم الاله تالب ريام وسيدهم ناصر يهنعم والتمسوا من الاله ان يزيد من نفوذ همدان التي تنتمي اليها قبيلة مرثد .

وقد ذكر في نقش اخر خبر حرب نشبت بين وهب ال يحز من ملوك مرثد وذمر علي ذو ريدان (امير ريدان) وكان بعض فروع من مرثد وسعد شمس في جانب الامير الريداني كما كان جماعات هوف عم ومخطرن وسخيم وخولان وبنو بتع في جانب وهب مما يدل على انها حرب تنافسية طرفاها ذو ريدان وملك سبأ المرثدي .

وفي الجملة فان النقوش التي عثر عليها من مخلفات القرن الثاني قبل الميلاد تشير الى ان المملكة السبئية كانت تمر في حقبة اضطراب شديدة . وكان الطامحون الى العرش والسلطان يتجاذبون الحيل ويحاولون استغلال الفرص ، وكان ذو ريدان والحميريون الذين ينتسب اليهم من اقوى الجائلين في الميدان . وقد عثر على نص جاء فيه ان برم ايمن وشقيقه برج يهرجب قدما لحاميهما الاله تالب ريام بعل ترعت ستة تماثيل لانه من على برم ايمن بالتوفيق والسداد في مهمتهخقام بها خير قيام وهي عقد صلح بين ملوك سبأ وذو

---

(١) محتوى هذه الفقرة مقتبس كذلك من المصدر السابق .

ريدان وحضرموت وقتبان بعد الحرب التي وقعت بينهم ، وانه كان من نعمة الله على برم ان رفع مكانته في عين ملك سبأ فاتخذه وسيطاً في عقد صلح بينه وبين الملوك الآخرين فنجح في مهمته وذلك في سنة ثوبن ابن سعدم ابن يهسحم . على ان برم هـذا الذي عرف من النصوص انه زعيم عشيرة بتع الهدانية وقيل (١) عشيرة سمعى لم يلبث ان دخل الميدان طامعاً منافساً لملك سبأ حينما رأى الفرصة سانحة حيث عثر على نصوص تفيد انه نادى بنفسه ملكاً لسبأ في اواسط القرن الثاني قبل الميلاد واستطاع ان يوطد سلطانه وان يورثه لابن له اسمه علهان تهفان . ولم ترض الاسرة المرثدية بالواقع فاخذت تحشدقواها لتوطيد سلطانها وبرز منها زعيم اسمه فرعم ينهب فاكد انه هو ملك سبأ وليس علهـان وابوه من قبله إلا مغتصبين باغين . ويبدو ان برم ايمن اعلن نفسـه ملكاً لسبأ في غير مدينة مأرب لان فرعم برز ونادى بملكه في هذه المدينة التي كانت عاصمة المملكة .ولقد عثر على نقوش يستفاد منها ان العشيرة التي كان يتزعمها برم كانت تقيم في مدينة حاز ، فمن المحتمل ان يكون نادى بنفسه ملكاً لسبأ في هذه المدينة . ولعـل احتفاظ الاسرة المرثدية بالعاصمة التقليدية لعرش سبأ مما جعلها تعتبر نفسها صاحبة السلطان الشرعي وتعتبر الاسرة التبعية باغية .

ولقد عمد علهان على ما تفيده النقوش الى الاستعانة بملك حضرموت وعقد حلفاً معه لتوطيد سلطانه . ويظهر ان هذا الحلف كان ضرورياً الى درجة حفزت بعض انصار علهان الى تقديم نذور للآلهة وتوجيه دعاء اليها بتوفيق علهان الى التحالف مع يدل ايل ملك حضرموت ليساعد احدهما الآخر ويتآخيا ويتحدا معاً تآخياً واتحاداً تامين .

ولقد عثر على نقش يحتوي اسماء الملوك والامراء والاقاليم التي كانت خاضعة لسلطان علهان هذا ويدل على انه استطاع ان يوطد سلطانه لفترة من الوقت (٢) .

وتفيد النقوش ان امير ريدان وقبيلته حمير التي صارت تذكر بحفاوة في هذه الحقبة غضبوا لبغي علهان واستعدوا لنصرة الاسرة المرثدية عليه فكان هذا مما حفز علهان الى التحالف مع ملك حضرموت . ولما تم التحالف زحف عليهم بالاشتراك مع حليفـه فهاجمهم من الشمال وهاجمهم ملك حضرموت من الجنوب وانتصروا عليهم .

---

(١) زعيم او امير .

(٢) هذا نص النقش بلغته العربية القديمة : عليهمو علن ملك سبأ وخميس واعرب ملك سبأ ذحم وقتبن واقول واشعب ملك حبشت ارض وتوين ذو ريدن اذنت وخميس ملك سبأ » .

ومما فعله علهان بسبيل توطيد ملكه عقد حلف بينه وبين ملك الحبشة على ما يستفاد من نقش امر بتدوينه جاء فية « إنه هو وابناؤه شعرم اوتر وبرم ايمن ملوك سبأ قدموا ثلاثين تمثالا من الذهب والفضة لمعبد الاله في يهجل وقاموا باصلاحات كثيرة فيـــه لانه اجاب طلبهم ومن عليهم ووفقهم الى عقد حلف مع « جدرت ملك احبشت » يتعاونان في نطاقه في ايام الحرب والسلم لرد كل اعتداء يقع على احدهما ومحاربة كل عدو يريد باحدهما سوءاً . وقـــد ذكر في النقش ان سلحين وزراران ـ ولعلهما امارتان ـ كانا متحالفين مع جدرت فشملهما هذا الحلف . وكان هـــذا الحلف كالحلف الحضرموتي الذي اشرنا اليه موجهاً في الدرجة الاولى ضد امراء ريدان والحميريين الذين كانوا ايناوئون علهان انتصاراً للاسرة المرثدية . وهكذا اخذ الاحباش يدخلون في سياسة بلاد اليمن في حقبتها المضطربة هذه .

ولقد قال بعض الباحثين (١) ان السبئيين كانوا يحتلون القسم الاكـــبر من ارض الحبشة والسواحل الافريقية المقابلة لبلادهم قبل الميلاد فنهض الاحباش الجعزيـــون فقوضوا السلطان السبئي واسسوا مملكة ادوليس ومملكة اكسوم ثم ابتلعت الثانية الأولى. وهكذا تطورت قوة الاحباش نتيجة لما كان من تنافس ونزاع في الدولة السبئية في عهودها الاخيرة ، فتخلصوا من السلطان السبئي ثم صار ملوك سبأ يخطبون ود ملوكهم ويعتبرون تحالفهم معهم خيراً ونصراً . ثم صاروا يغزون بلادهم بعد ذلك حتى قضوا على دولتهم على ما سوف نذكره في جزء آخر لان ذلك وقع في دور العروبة الصريحة .

وقد يبدو شيء من التناقض بين النص الآنف الذكر والنص السابق لان هـذا يفيد ان اجدرت ملك احبشت كان مستقلا وكان علهان معتزاً بمحالفته بينما النص السابق يفيد ان « اقول ـ ومعنى اقول اقيال اي حكام ـ واشعب ملك حبشت » كانت من جمـــلة الخاضعين لملك سبأ . ويقول بعض الباحثين إن « احبشت » ليست في الاصل هي بلاد الحبشة وانما هي اقليم في جنوب الجزيرة كان يسكنـــه شعب « احبشت » وان منهم من هاجر الى البلاد المعروفة اليوم بالحبشة وتوطنوا فيهـــا فاطلق عليها اسمهم (٢) حيث يكون في هذا القول تفسير وتوفيق ويفيد ان احبشت التي في النص الاول هي التي كانت في جزيرة العرب وفي النص الثاني هي الحبشة الافريقية .

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٥٠

(٢) المصدر السابق .

ولقد عثر على نقش ذكر فيه علهان باسم ملك سبأ وذو ريدان وان ابنـاً له اسمه شعر اوتر خلفه وتلقب باللقب نفسه مما يدل على ان علهان قد انتصر على الحميريين واميرهم ذو ريدان في النضال واستولى على ريدان .

ومن طريف ما سجلته النصوص ان الشرح يحصب بن فرعم ينهب الذي خلف اباه على عرش مأرب سمى نفسه هو الآخر ملك سبأ وذو ريدان حينما تلقب علهان بهـذا اللقب واورثه ابنه على اعتبار انه هو صاحب السلطان الشرعي . وهكذا كان في القرن الاول قبل الميـلاد اسرتان ملكيتان يتلقب ملوكها بلقب ملك سبأ اولا ثم بلقب سبأ وريـدان .

على ان الحميريين لم يلبثوا ان جمعوا قواهم ونهضوا ثانية ودخلوا في الصيال مع علهان ثم مع ابنه شعر اوتر من بعده واستطاعوا ان ينتصروا على الاسرة البتعية . وقـد رأوا انفسهم بعد هذا الانتصار اقوى من أن يكونوا اتباعاً للأسرة المرثدية فتمردوا عـلى ملكها الشرح يحصب الذي كانوا يحاربون الاسرة البتعية من اجله ، فنشب نزاع بـين الطرفين واستمر طيلة عهد الشرح ثم في عهد خلفائه من بعده وكتب النصر فيه في النهاية للحميريين فصاروا اصحاب الدولة والسلطان . وكان ذلك في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد . وقد تلقب ملوكهم بلقب ملك سبأ وذو ريدان ثم بلقب ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت حيث استطاعوا ان يبسطوا سلطانهم على سائر انحاء اليمن . وقـد عرفت هذه الدولة في كتب العرب بالدولة الحميرية نسبة لقبيلة حمير التي قامت بها .

ولما كان دور العروبة الصريحة قد انبثق في عهد الدولة الحميرية هذه الذي امتـد الى اوائل القرن السادس بعد الميلاد فان الكلام عنها سيكون من متناول القسم الثـاني من هذا الكتاب .

هذا ، ونرى من الحق ان ننوه في ختام هذا المبحث كما نوهنا في ختام مبحث الدولة المعينية بما تدل عليه النقوش التي تعود الى عهد الدولة السبئية من سعـة انتشار القراءة والكتابة في نطاق هذه الدولة والرغبة في تسجيل الاعمال العامة والخاصـة استمراراً لما كان من ذلك قبلها مع الزيادة عليه ، وبما في ذلك من دلالة ثقافية قوية .

– ٨ –

صور عن حاله سبأ من المدونات القديمة

ومما يحسن ايراده في هذا المقام وصف هيرودوت وبيلينوس لبلاد اليمن في ظرف

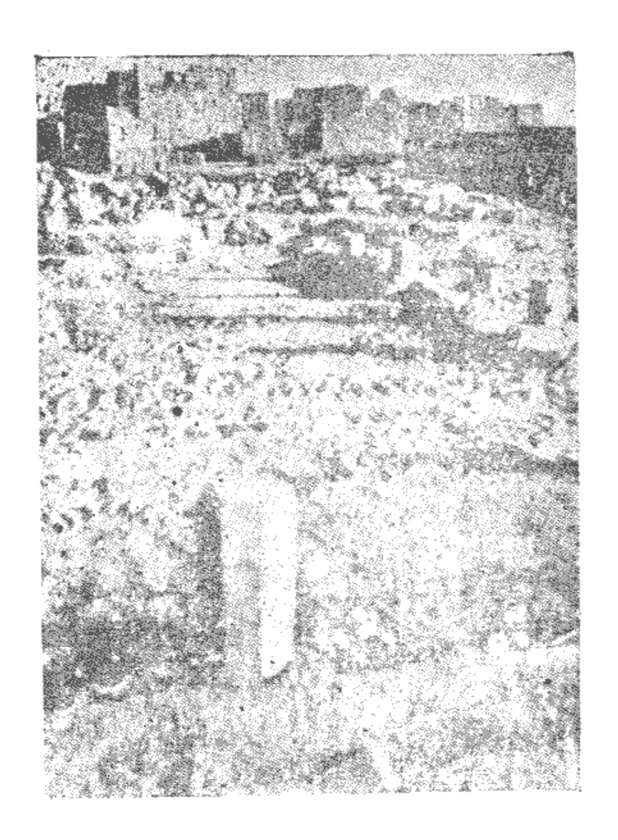
كانت خاضعة فيه للدولة السبئية (١) . فقد سماها هيرودوس وهو من اهل القرن الخامس قبل الميلاد ببلاد الطيوب وقال إن فيها وحدها البخور والمز والقرفةوالدارحيني واللادن ، وانها مزدحمة بالسكان وتتمتع بخصب عظيم . وقد وصفها سترابون وصفاً رائعاً فقال انها اصبحت بما لها من نصيب في تجارة الطيوب أغنى البلاد عامة وأنها أخصب بلاد العرب وان من محصولاتها المر والبخور والقرنفل والبلسم والقرفة وسائر العطريات فضلا عن النخيل والغاب ، وان اهلها يستعملون من مستحدثات الادوات المصنوعة من الذهب والفضة الاسرة ومثلثات القوائم والاحواض واوعية الشراب ، وناهيك بمنازلهم الفخمة التي زوقت ابوابها وجدرانها وسقوفها بالالوان ورصعت بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة . اما بيلنوس الروماني وهو من اهل القرن الاول الميلادي فقد قال راوياً عن مؤرخ روماني اقدم منه ان سبأ فاقت الجميع ثروة بما توفر في ارضها من الاشجار العطرية ومناجم الذهب ونظم الري ، وهي تنتج العسل والشمع بكثرة ، ولعلها اغنى بلدان الارض قاطبة بما يتوارد اليها من كنوز دولة الرومان ودولة الغرثيين . وفي هذا ما فيهَ من الدلالة على ما بلغ اليه هذا الاقليم العربي من الازدهار ، وما تمتع به اهله من رفاه وثروة في القرون السابقة للميلاد المسيحي .

ويظهر من هذه الاوصاف ومما تكرر وصف اليمن به من الذهب والفضة وهدايا ملوكها منهما ان دول اليمن استطاعت ان تستغل معادن الذهب والفضة استغلالا واسعاً مما فيه دلالة بطبيعة الحال على ما وصلت اليه من مهارة وفن . اما الطيوب وغابات اشجارها ونباتاتها فيبدو انها مما حبته الطبيعة لهذا القسم من جزيرة العرب ، ولا تزال الطبيعة تحبوه به الى الآن على ما يستفاد من وصف السياح والزوار حيث يقولون انه يوجد في اليمن غابات من شجر الياسمين والسيسبان وغيره من الاشجار العطرة .

كذلك مما يحسن لفت النظر اليه في هذا المقام ما بين النصوص والاسماء السبئية والمعينية من تقارب لغوي من جهة والى ما اخذت هذه النصوص والاسماء تتجه اليه من تقرب نحو العربية الفصحى من جهة اخرى . ففي هذا مشهد من مشاهد التطور نحو العروبة الصريحة ولغتها الفصحى الذي بلغ نهايته في اواخر عهد الدولة الحميرية على ما سوف نذكره بعد .

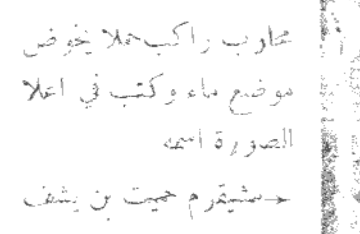
---

[١] العرب قبل الاسلام لزيدان وتاريخ العرب المطول لحتي ج ١



معبد همداني كشف
عنه في ضاحية حجه ←





محارب راكب جملا يخوض
موضع ماء وكتب في اعلا
الصورة اسمه
← شيقرم حيت بن يشف

الدولة القتبانية [1]

- ١ -

نشوء دولة قتبان وآثارها

من خلال الفصل السابق يبدو انه كان من الدول اليمنية المهمة دولة اسمها قتبان ، وانها كانت قائمة إبان قيام الدولة السبئية .

وقد ذكر القتبانيين كل من ثيوفراسنس واسترابون وبلينوس الذين عاشوا قبل الميلاد المسيحي ومما قاله استرابون إن القتبانيين كانوا يقطنون الاقسام الغربية من جنوب اليمن وان منطقتهم كانت تمتد الى باب المندب ، وان مدينتهم الكبرى او عاصمتهم بتعبير آخر هي تمنا وقد يكون الاسم تمنع وتعذرت كتابة العين على الكاتب الاعجمي ، وتقع خرائبها في وادي بيحان في منطقة عرفت بخصبها وكثرة مياهها وبساتينها . ولا تزال آثار نظام الري القديم تشاهد الى اليوم ، وتسمى اطلال المدينة اليوم « كحلان » . وقد ذكر بلينوس انه كان في تمنا خمسة وستون معبداً مما فيه دلالة على ضخامة المدينة وعمرانها ، وان للقتبانيين مدناً عديدة اعظمها ناجيا وتمنا .

ولقد عثر على كتابات ونقوش ونقود كثيرة تحتوي اشياء كثيرة عن ملوك هذه الدولة وقوانينها وآلهتها وطقوسها وشؤونها التجارية والزراعية والعمرانية والفنية والسياسية واسلوب الحكم والادارة فيها وصلاتها بغيرها .

- ٢ -

تطور الحكم في دولة قتبان

ويستفاد من ذلك ان وجود هذه المملكة يعود الى زهاء الف سنة قبل المسيح ويمتد الى قبيل ولادته على اختلاف في تحديد الزمن . وهذا يعني انها كانت قائمة في عهد كانت فيه دولتا معين وسبأ قائمتين .

وقد تقلبت في اطوار . فتمتعت باستقلالها التام حيناً من الدهر وتشادت مع سبأ على السيادة على الدولة المعينية ونجحت في البداية فصار لها عليها السيادة على ما يستفاد من

---

(١) محتوى هذا العنوان مقتبس من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ٢ ص ٨ – ٦٣

نقش ذكر فيه ان ملك قتبان « شهر يجال يهر حب » هو سيد ملك معين وابنه . وهذا الملك قد حكم في القرن التاسع قبل المسيح وهناك نقش آخر يعود الى عهد الملك « شهر هلل بن ذر اكرب » من ملوك قتبان في القرن نفسه ذكر فيه اسم شعب معين في جملة الشعوب التي كانت خاضعة له ، حيث احتوى النقش اشارة الى قانون اصدره لشعوب « قتبن وذي عاسن ومعين وذي عثم اصحاب ارض سدو (١) » وقد عثر على نقش امر بكتابته « اليفع بشر » ملك معين في عاصمته قرنو ذكر فيه ان كاهنين من كهان قتبان حضرا حفلة تتويجه مما فيه دلالة على شيء من ذلك .

وواضح من هذا ان معين خضعت لسيادة قتبان مع احتفاظها بكيانها وهي الطريقة التي كانت جارية في هذه البلاد بصورة عامة .

ثم نزلت قتبان من هذه الذروة حتى غدت خاضعة لسيادة سبأ على ما يستفاد من نقش يعود الى زمن الملك علهان ملك سبأ ذكر فيه الخاضعون لسيادته (٢) . وعلهان هذا هو على الارجح علهان نهنان الذي كان ملكه في القرن الثاني قبل المسيح . وليس هناك ما يفيد بدء غدو قتبان خاضعة لسبأ .

- ٣ -

مكارب وملوك قتبان

وقد عرف من النقوش والنقود ان رؤساء هذه المملكة كانوا في بدء امرهم مكارب ثم صاروا يتلقبون بلقب الملك على نحو ما كان في الدولة السبئية . وقد قرئت اسماء عدد كبير من مكارب هذه الدولة وملوكها على النقوش والنقود . ورتب الباحثون قوائم بها اوفاها قائمة فيلبي وان لم يمكن القول انها اصحها وهذه هي :

---

(١) هذا هو نص النقش باللهجة القتبانية العربية القديمة « حاكم سحر وحرج شهر بن ذرأكرب مالك قتبن شعبن قتبن وذ عاسن ومعينم وذعنتم ابعل صروب عدو سدو » واللمحة العربيه بادية على النص وعلى الاسماء خاصة .

(٢) هذه عبارة النص باللهجه السبئيه « عايهمو عاهن مالك سبأ وخميس واعرب مالك سبأ ذحم وقتبن واقول واشعب مالك حبشت ارض ونوين ذو ريدان اذلت وخميس مالك سبأ » واللمحة العربية بادية على هذا النص ايضاً .

سمه علي وهو مكرب وحكمه في حدود	٨٦٥	ق م
هوف عم يهنعم ابنه وهو مكرب	٨٤٥	»
شهر يجل يهر جب بن هوف وهو ملك	٨٢٥	»
درو ال غيلان يهنعم بن شهر يجل وهو ملك	٨٠٠	»
فرع كرب بن يهو ضع بن شهر يجل وهو ملك	٧٨٥	»
شهر هلل بن ذرأ كرب وهو ملك	٧٧٠	»
يدع ابن ذبيان يهر جب بن شهر هلل	٧٥٠	»
... بن شهر هلل	٧٣٥	»
شهر هلل ينعم بن يدع اب	٧٢٠	»
نبط عم بن شهر هلل	٧٠٠	»
يدع اب ينوف بن يدع اب	٦٨٠	»
سمه وتر	٦٤٠	»
ورو ال بن سمه وتر	٦٢٠	»
اب شيم	٥٩٠	»
اب عم بن اب شيم	٥٧٠	»
شهر علن ابن اب شيم	٥٥٥	»

وعلى رأي فيلبي صاحب هذه القائمة ان نهاية مملكة قتبان كانت في عهد الاخير حيث اندمجت في مملكة سبأ وغدت جزءاً منها . غير ان هناك آثاراً تفيد ان حروباً عديدة نشبت بين ملوك قتبان وسبأ وان ملوك قتبان استطاعوا في القرن الرابع قبل المسيح استرداد سلطانهم ومارسوه ردحاً من الزمن على ما ذكرناه في فصل الدولة السبئية .

وهذه قائمة اخرى للأثري البرايت الذي يخمن ان نهاية مملكة قتبان كانت حوالي سنة خمسين قبل الميلاد حيث زالت كمملكة ذات كيان مما يمكن ان يكون اقرب الى الصحة في هذه النقطة :

سمه على وتر مكرب = هوف عم يهنعم بن سمه = شهر ... يدع اب ذبيان يهنعم مكرب = شهر هلل يدع بن اب مكرب = سمه وتر = وروال وحكمه في حدود ٤٥٠ وكان خاضعاً لسبأ = شهر مكرب = يدع ايل ديبان بن شهر اول من تلقب بلقب ملك في اواخر القرن الخامس = شهر هلل بن يدع = نبط عم بن شهر هلل = ذمر على = يدع اب يجل بن ذمر = اب شبم = شهر غيلن بن اب شبم = بي عم بن شهر = شهر يجل

بن يدع اب وكان حكمه في حدود ٣٠٠ ق م = شهر هلل يهنعم = يدع اب ديبان بن جرب = فرع كرب = يدع اب غيلان بن فرع كرب = هوف عم يهنعم ١٥٠ ق م = روال غيلان يهنعم = فرع كرب = يهو ضع بن شهر يجـل ـ يـدع اب ينوف = ذرأ كرب = شهر هلل بن ذرأ كرب .

وليس في الآثار ما يدل على كيفية زوال المملكة القتبانيـة بجزم . وكل ما خمنه الباحثون ان السبئيين قد اخضعوها لسيادتهم في القرن الثالث قبل الميلاد ثم ابتلعوهـا . ولم يذكر احد من الكتاب القديمين بعد بطليموس احد اسم قتبان كدولة مما يـدل على انها كانت في القرن الاول قبـل الميلاد قـد زالت وغدت جزءاً من الدولـة السبئية الريدانية الحميرية .

- ٣ -

حروب قتبان وسبأ

وقد عرف من النصوص ان حروباً عديدة نشبت بـين ملوك قتبان وسبأ في ادوار المكارب ثم في ادوار الملوك ، وان قتبان الفت حلفاً لمقاومة سبأ التي اخذت تبرز وتحاول بسط سلطانها الشامل ، وكان من اعضاء الحلف دهس ومعـين ومهامرم وامرم الذين كانوا رؤساء حكومات مستقلة في نطـاق مملكة قتبان ، غير ان سبأ تغلبت على هـذا الحلف وضمت اليها اراضي حكوماته ثم حاصرت مدينة يثل وخربت سدودها واستولت على منشآتها ، مما ذكرناه بشيء من الاسهاب في فصل الدولة السبئية .

وقد احتوت النقوش خبر حرب بين سبأ وقتبان استمرت خمس سنين وانتهت بصلح عده قائد سبأ نصراً وتوفيقاً وشكر الآلهة عليه مما يدل على ان قتبان كانت استطاعت ان تنهض وتقوى وتتفلت من سيادة سبأ بل وتغدو اقوى من سبأ في هـذا الظرف الذي يخمن انه اواخر القرن الخامس قبل المسيح . وقد جاء في احد النقوش ان سبأ هاجمت قتبان في ظرف قريب من ذلك الظرف وبعد الصلح المذكور وكان يساعدها مملكـة او مشيخة اسمها رعنن ولكنها تراجعت عنها مما ينطوي فيه نفس الدلالة . وكان هـذا في عهد الملك يدع اب يجل ملك قتبان . وقد جاء في هـذا النص الذى دونه يـذمر ملك رئيس عشيرة ذرآن في ايام الملك المذكور انه تغلب على قبيلة ذبحان الساكنـة في ارض



منجره او مذبح وعليها كتابة مسندية



صورة رجلين يحمل احدهما لجمه وفيها نموذج
للباس اهل اليمن القديم وكتب عليها
« صور زاد بن سعد اوم »

حمرر (١) وعلى قبائل ذودن وصبرم وسلمن واستولى على مدنها ومزارعها ووهبها لعم وانبي الهي قتبان وللملك قتبان حيث يستفاد من هذا ان يذمر ملك كان القائد الذي قاد جيوش قتبان التي وقفت في وجه الزحف السبئي واحبطته وان القبائل المذكورة كانت تناصر السبئيين فنكل بها .

– ٤ –

وكان على ما تفيده النقوش لكل مجتمع ومدينة في مملكة قتبـان مجلس شيوخ يسمى « مشود » ينظر في الشؤون المحلية كما كان مشود اعلى في العاصمة يجتمع فيه شيوخ الأسر والقبائل للاشتراك مع الملك في النظر في شؤون المملكةوهو ما كان في دولتي معين وسبأ .

وقد عثر على نص طويل لقانون اصدره الملك « شهر يجلل يهر جب بن هوف عم » باسمه واسم شعب قتبان في كيفية دفع ضرائب الارض واستثارها وقسمتها بين القبائل والعشائر مؤرخ في اليوم التـاسع من شهر ذي تمنع من السنة الأولى من سني عم على من آل رشم من عشيرة قفعن » وفي نهاية النقش طائفة من الاسماء بعـد كلمة « ايدهمو » التي يظن انها تعني ان هؤلاء الذين وردت اسماؤهم قد كتبوها بايديهم وانهم شهود على صحة القانون وموافقون عليه وحيث يرجح ان يكونوا اعضاء مجلس المشود الاعلى . وهذه هي الاسماء التي وردت في النقش نثبتها لبروز اللمحة العربية عليها بقوة ولكونها تمثل طوراً من اطوار اللغة والاسماء والاعلام العربية قبل المسيح ببضعة قرون . غريم من نشأن = يجر ورشم من شحز سمكر وقمعان = محضرم = عم رشوان = مرجزم = خلبان حضرم = حمران من ذرآن = دنم من آل شعثم من قبيلة ودم = ذرحان ودنم وبوسان وملحم وورقان وشحط وشكمم من قبيلة معدان = يخم عيل = اجـلان = تهثكان = ذمران = ليشان = اجرم .

وقد عثر على نقش آخر فيه قانون جزائي بشأن مرتكبي الجرائم ومخالفي القوانـين وحكم الشخص الذي يقتل مجرماً حكم عليه بالموت وحكم القبيلة او الموضع الذي يقع فيه القتل ولا يعثر فيه على القاتل . وذكر في نهاية النقش ما يفيد ان هذا القانون قد صدر ووافق عليه الملك في « شهر ذي مسآت من سنة غوث ايل » وشهد على صحته جماعة من الاعيان والرؤساء من القبائل الكبرى مثل ردمان ومذحج ويهر ويقلم وغيرها . وقـد

---

(١) النص القتباني هو [شعبن ذيجن ذحمرر]

ورد كلمة مشود وقبل هذه كلمة مشود وقبل هذه كلمة الملك مما قد يدل على ان الاسماء اعضاء مجلس المشود الاعلى .

- ٥ -

عناية ملوك قتبان بالزراعة والتجارة

ويستفاد من النقوش ان ملوك هذه الدولة كانوا يعنون عناية فائقة باستغلال الارضين وضرائبها وجبايتها وتنظيم اعمالها واعمال التجارة . فهناك نقش فيه قانون اصدره الملك « شهر هلل بن ذرأكرب » يبين فيه واجبات شعوب المملكة الاربعة وهي « قتبن وذي علسن ومعنم — معين — وذي عنتم اصحاب ارض سدو » في كيفية استغلال الارض والاعمال المترتبة عليها . وهناك نقش من زمن الملك « شهر غيلان » يحتوي بياناً بكيفية جباية الضرائب من قبائل كحد ودنتت جاء فيه ان الملك امر بتدوينه ليكون قانوناً وان زعيم كحد هو الذي يتولى جباية ضرائب هـذه القبائل والاشراف على تنفيذ القانون وتطبيقه على كل فرد على ان يقدم ما يجبيه سنة فسنة ما دام في وظيفته ويعتبر الامر نافذاً من هلال شهر ذو تمنع سنة موهب ذو ذرحان آخراً فآخراً (١) . وقد حددت الضرائب بعشر كل ربح صاف وكل ربح يأتي من التزام او بيع او ارث . وقد ورد في النقش اسم ضريبة اخرى وهو « عصم » ويخمن انها ضريبة المعبد لان كلمة «عصم» تطلق على كل ما يقدم باسم الآلهة او المعابد من زكاة او نذور أو هبات . وهناك نص كتب كأمر ملكي يذكر فيه الضرائب الزراعية الواجب جبايتها من « اربى عم ذلبخ » اي جماعة الاله عم في ارض لبخ في موسم الحصاد والثمار . وقد عين فيه الضرائب التي يجب دفعها لخزانة الحكومة والضرائب التي يجب دفعها للاله عم والالاهة عثيرة . وهناك نص كأمر ملكي ايضاً فوض فيه الملك امر استغلال وادي لبخ الى «اربى عم ذلبخ(٢)» مقابل شروط ذكرها وهي دفع زكاة الارض والغلات له ولمعبد عم وعثيرة . وقد ذكر في النص ان الذين مثلوا جماعة ارض لبخ هم من بني هيبر الذين يبدو انهم زعماء الجماعة . وقد ذكر فيه كذلك ان الامر قد دون واعلن للناس ببيت الاله عم رب لبخ

---

(١) هذا نص عبارة التاريخ [ورخن ذو تمنـع خرف موهم ذو ذرخن آحرن آخرن] وكانت كلمة ورخن تعني الشهر .

(٢) الجملة تعني جماعة عم في مدينة لبخ او ارض او مقاطعة لبخ .

الكائن بذي غيل وعلى باب ذو سدو بمدينة تمنع في شهر ذي تمنع في السنة الثانية من سني شهر يجر . وهناك نص وجه الخطاب فيه من الملك شهر هلل ينعم الى اربى عم ذلبخ ايضاً في كيفية دفع الضرائب والوظائف . وقد ذكر في هذا النص ان الملك وافق عليه وامر باعلانه تنفيذاً لارادة معبد حطبم المخصص لعبادة الاله عم ذو دنم ولاوامر معبد رصف ومعبد الاله انبى ولوحي الالاهة شمس وربع شهر . وقد ذكر في النص اسماء وكلاء وممثلي شعب اربى عم ذلبخ الذين سينفذون هذا الامر بالنيابة عنهم ، كما ذكر فيه انه اعلن في معبد عم ذلبخ في ذي غيلهم جدر ذو سدو ذو تمنع ، ويبدو ان هذه النصوص الثلاثة الاخيرة في موضوع او ظرف واحد يتمم بعضها بعضاً . ويسلك النص الذي ذكرناه في الفقرة الرابعة للقانون الذي اصدره الملك شهر يجل في هذا السلك ايضاً .

وقد عثر على نصوص عديدة مدونة بامر الملك شهر هلل بن يدع وموجهة الى رعاياه وغيرهم ممن يقصد المملكة للاتجار والى القتبانيين والغرباء الذين يتعاملون في اسواق قتبان او في الاسواق الخارجية حتم فيها عليهم تقديم رهونات وافية توضع في خزانة تمنع ليسمح لهم بالاتجار مع شمر او في اماكن اخرى تقع وراء حدود مملكةقتبان .ويظهر من هذه النصوص ان شمر كانت مقاطعة مجاورة لقتبان مستقلة بعض الشيء ، وانها كانت سوقاً يقصدها التجار من قتبان ومن خارجها عن طريقها للمتاجرة فيها . وقد فرضت عقوبات مالية على من يخالف الامر ويتاجر مع الغرباء دون علم الحكومة وهدد كل من يتعامل بالسوق السوداء ايضاً بدون علم الحكومة بالاستيلاء على جميع رهوناته ومصادرة بيوته وحاصل موسمين من مواسمه واذا كان فر الى خارج المملكة يصادر كل ما يملك ويصبح ملكاً لملك قتبان . ومن جملة التعليمات الواردة في النصوص حصر النشاط التجاري مع شمر بالنهار ومنعه بالليل من الغروب حتى الصبح . واحتوت النصوص ما يفيد ان هناك اتفاقاً تجارياً بين قتبان وشمر ، فالشمريون الذين يقصدون قتبان للاتجار يضعون كذلك رهونات في خزانة شمر ثم يجري الحساب بين الحكومتين على رسوم المعاملات التجارية المتبادلة ويدفع الزائد من الرهونات الموجودة في خزانة الطرف المدين .

ونقول بهذه المناسبة ان كتاب اليونان والرومان القدماء ذكروا ان ملوك قتبان كانوا يحتكرون تجارة الطيب والبخور ولا يسمحون لاحد بالاتجار بها إلا باذن منهم . وكانوا يعينون اماكن خاصة لتكون اسواقاً لهذه السلع يقصدها التجار . وقد قال بيلنوس حينما

تحدث عن البخور انه لم يكن يسمح بتصديره إلا بواسطة مملكة قتبان وبعد دفع الضريبة الى ملكها . .

وقد عثر كما قلنا قبل على نقود قتبانية عديدة برونزية وذهبية منها ما كتب عليه اسم الملك يدع اب نيف وصورت عليه صورة رأس رجل جعد الشعر وكتبت كلمة حرب — حربب — وهي المدينة التي ضربت فيها النقود على الارجح وموقعها معروف الى اليوم على مسافة خمسة وخمسين كيلو متراً الى شرق شمال صنعا على طريق مأرب . ومنها نقود عائدة الى الملك شهر هلل واخرى الى الملك روال غيلان .

— ٦ —

فنون قتبان

وقد كان فن الهندسة مترقياً في هذه المملكة كما كان في الدولة السبئية حيث تسجل احدى الكتابات ان معبد عم ذو شقرن وعم ذو رعيت امروا — والمرجح ان العبارة تعني ان كهان المعبدين امروا بفتح طريق فى مناطق وعرة وارض جبلية استوجبت احداث ثغرات في الصخور وفتح انفاق في الجبل ، وان رجلا اسمه اوس عم بن نصر من آل موهم اشرف بنفسه — ويبدو انه كبير المهندسين — على ادارة العمل ورسم الخطط وقام برصف الطريق وتبليطه وإكساء ممر ظرم خاصة بالاسفلت وذلك بناء على تكليف مكرب قتبان يدع اب . وقد عثر على كتابة اخرى تفيد ان هذا المهندس قام باعمال عمرانية مماثلة في مواضع جبلية اخرى وببناء عدة معابد للاله ود والآلهة الاخرى مثل عثتر وعم وذات صفتم وذات ظهرن .

وقد عثر في خرائب تمنع على تمثالين لاسدين وفارسين على هيئة كيوبيد ملك الحب واله الحب . وقد صنعت السهام من النحاس . وكذلك على مصنوعات معدنية وخزفية جميلة الصنع مما فيه دلالة على ان فن النحت والصياغة كان هو الآخر متقدماً في هذه المصنوعات والطراز اليوناني والروماني واستولوا بذلك على أقدم الصلات التي كانت بين اليونان والرومان وبين هذه البلاد .

وقد عثر على نقش ذكر فيه ان « يدع ان ذيبان بن شهر » مكرب قتبان واولاد عمه واوسان وكحد ودهس وتبنى اشتركوا في فتح طريق وانشاء مبلقة بين برم وحرب وفي تجديد بيت ود وعثيره وهما معبودا القتبانيين الرئيسيان . وفي بناء مختن في قلى .

واوسان وكحد ودهس وتبنى مقاطعات او امارات مستقلة استقلالا داخلياً في نطاق سيادة قتبان على الارجح . ولعل اولاد عم مكرب قتبان هم الآخـــرون امراء امارات مستقلة ايضاً .

وفي هذا صورة من صور التعاون في الاعمال العمرانية بين ملوك قتبان والامارات الداخلة تحت سيادتهم والمتمتعة باستقلالها الذاتي . ويظن ان كلمة مبلقة تعني مرفقاً من مرافق الطرق كمظلة او استراحة وان كلمة مختن تعني مذبحاً او محرقة للطقوس الدينية .

ومن هذا الباب نص دونه معمار اسمه شرح عث بن عبد ايل بن تــنزب كلفه الملك شهر غيلان بانشاء برج وكانوا يسمونه « عربم » وادارة العمل ، وقــد ذكر في النص اسم الملك واسم ابيه واسم ابنه وآلهــة قتبان « عثتر » و « عم » و « ابنى » و « عم ذيسرن » و « عم ذشقير (١) » و « حــوكم » و « ذات صنتم » و « ذات ظهــرن » و «ذات رحبن (٢)» .

ونص آخر امر هذا الملك تدوينه بمناسبة ترميم الاقسام القديمة من معبد « بيجان » وتجديدها وبناء اقسام جديدة فيها . وقد عرف من النص ان هذا المعبد مخصص لعبادة الاله عثتر نوفان ؛ وقد ذكر مع ذلك في النص اسماء آلهة اخرى تيمناً وتقرباً اليها مثل « عم » و « انبى » و « ذات صنتم » و « ذات ظهران » .

وهناك نصوص اخرى مماثلة دونت بامر هذا الملك وغيره بمناسبات مماثلة وفيهـــا اسماء آلهة قتبان وتنويه بمساعدتها على اتمام العمل ، وليس فيها تفصيل .

هذا ونذكر في خاتمة الفصل عن قتبان ان بعثة امريكية قامت في خرائب تمنع بتنقيبات مهمة سنتي ١٩٤٩ ـــ ١٩٥٠ وعثرت على نحو ستة آلاف نص لم تعلن بعد نتائج دراستها وما اوردناه في تاريخ قتبان واحوالها مستمد من النصوص التي عثر عليها الاثريان غلاسر وهاليفي في القرن الماضي في جنوب اليمن والتي يبلغ عددها الفين ونيفـــاً (٣) . ومن

---

(١) عم ذ شقير وعم ذ يسرن تعني معبد الاله عم او تمثال الاله عم في مدينه شقير ومدينه يسرن .

(٢) ذات ظهران وذات رحبن من اوصاف الشمس .

(٣) أن ما اوردناه في مبحثي معين وسبأ مستمد من نصوص هذين الاثريين ودراساتها ايضاً على ما يستفاد من كتابي جواد علي وجرجي زيدان .

المحتمل ان يكون في النصوص التي عثرت عليها البعثة الاميركية اشياء كثيرة تساعـد على زيادة المعرفة عن هـــذه المملكة بل عن المنطقة الجنوبيـــة الغربيـــة من جزيرة العرب بوجه عام .

كذلك نرى ان ننوه في هذه الخاتمة بما تـــدل عليه كثرة النقوش من اتساع نطـــاق القراءة والكتابة والرغبة في تسجيل الاعمال العامة والخاصـــة ، وما في ذلك من دلالـــة ثقافية هامة .

ونود ايضاً ان نلفت النظر الى اللمحة العربية البادية على اسماء ونصوص القتبانيين وتطورها شيئاً فشيئاً نحو العروبة الصريحـــة ومشابهتها في ذات الوقت لاسماء ونصوص المعينيين والسبئيين واتصالها بها . ففي كل هذا دلالة على وحدة الارومة والزمن من جهة ونواة للعروبـــة الصريحـــة التي اخذت تتكامل منـــذ القرن الثالث الميـــلادي من جهة اخرى .

الدولة الحضرموتية (١)

- ١ -

نشوء دولة حضرموت وامدها

ومن الممالك المهمة التي كانت قائمة في جنوب الجزيرة اثناء قيام دول معين وسبأ وقتبان المملكة الحضرموتية . وقد ذكرها كل من ايراتوسنيس وثيوفراستوس وبلينوس وبطليموس وورد اسمها في الاصحاح العاشر من سفر التكوين الذي دون قبل الميلاد المسيحي بعدة قرون كاسم ابن من ابناء يقطان ..

ولقد عثر على كتابات ونقوش ونقود وادوات خزفية وفخارية ومعدنية كثيرة استدل منها على اشياء كثيرة في شؤون هذه المملكة وملوكها واعمالها وقوانينها .

ويستفاد من ذلك ان هذه البلاد كانت خاضعة لملوك معين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ثم انفصلت عنهم وقام على رأسها ملك مستقل وشقيق لملك معين في الوقت نفسه مما يدل على ان الشقيقين تنافسا على الملك او توافقا على قسمة المملكة بينهما واستقلال كل منهما في قسم منها . والملكان هما اب يدع ملك معين وشهر علن ملك حضرموت ولدا صدق ايل ملك المملكة التي كانت تشمل معين وحضرموت . ثم عاد القسمان فاتحدا في تاريخ غير معروف وظلا متحدين الى القرن السابع قبل المسيح ثم انفصلا ثانية . وليس في الآثار ما يدل على ما اذا كان ملوك القسمين في هذه المرة من اسرة واحدة والانفصال من نوع الاول ام كان لحساب اسرة جديدة برزت وبسطت سلطانها على حضرموت . وقد ظل هذا الكيان الجديد الى اواخر القرن السادس قبل الميلاد ثم خضع لمملكة سبأ . غير انه قام في القرن الثاني قبل الميلاد زعيم من قبيلة يهبر اسمه رب شمس بحركة ادت الى بروز حضرموت مرة اخرى كمملكة مستقلة . وقد اصلح هذا الملك الجديد مدينة شبوه واتخذها عاصمة له ؛ وقد ذكرت المدونات القديمة انه كان في هذه المدينة خمسون هيكلا مما يدل على ما كانت عليه ضخامة عمران .

وقد زارها فيلبي في اواسط هذا القرن وذكر ان فيها آثاراً كثيرة لقصور وهياكل وسدود تدل على انها كانت مدينة ضخمة العمران .

---

(١) محتوى هذا العنوان مقتبس من العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ٢ ص ٦٤ - ٩٠

ولقد استمرت هذه الدولة قائمة الى اواخر القرن الثالث بعد الميـــلاد ثم خضعت او اندمجت نهائياً في الدولة الحميرية السبئية .

وهكذا يكون قد وجد في القسم الجنوبي الغربي من الجزيرة في ظرف واحد ممالك معين وسبأ وقتبان وحضرموت تمارس سلطانها استقلالا او مع الخضوع لدولة من هذه الدول بالاضافة الى عشرات بل مئات الامارات والمشيخات الثانويـــة التي كانت تتمتع باستقلال ذاتي واسع او ضيق ويتلقب رؤساؤها بلقب ملك او قيل او ذو او كبير الخ .

- ٢ -

مكارب وملوك حضرموت

وكما كان شأن ملوك سبأ وقتبـــان كان شأن ملوك حضرموت من حيث انهم كانوا يتلقبون في بدء الامر بلقب مكرب ثم صاروا يتلقبون بلقب الملك .

وقد رتب الأثريون قوائم باسماء مكارب وملوك هذه المملكة استناداً الى مـــا عثر عليه من نصوص ونقود . وفيها حلاف وثغرات كقوائم الدول الاخرى بطبيعة الحال . وهذه قائمة رتبها هومل فيهم :

شهر علن بن صدق ال ــ معدي كرب ــ سمه يفع ــ يدع ال بين ــ اميثم ــ يدع اب غيلن ــ يدع ال بين ــ يدع اب غيلن ــ العزيليط ــ يدع اب غيلن ــ سلفى علهان ــ رب شمس ــ يدع ال بين ــ اب يزع حي ايل .

وفي رأي هذا الاثري ان مملكة حضرموت انتهت ككيان دولة مستقلة واندمجت في مملكة سبأ في القرن الثالث قبل الميلاد .

اما فيلبي فقد رتب قائمته على الوجه التالي :

صدق ايل ملك حضرموت ومعين	١٠٢٠	ق م
شهر علن بن صدق ايل ملك حضرموت	١٠٠٠	ق م
معدي يكرب بن اليفع يثع ملك معين وحضرموت	٩٨٠	ق م

حيث يخمن فيلبي ان حضرموت انضمت الى معين في عهد هـــذا الملك وظلت الى حوالي سنة ٦٥٠ ق م ثم انتقلت وتولى عرشها الملوك التالون :

السمع ذبيان بن ملكي كرب ــ يدع ال بين بن سمه يفع ٦٥٠ ــ ٥٩٠ ق م .

ثم اصبحت حضرموت على رأي فيلبي جزءاً من مملكة قتبان حيناً ومن مملكة سبأ حيناً آخر الى سنة ١٨٠ ق م حيث برزت مستقلة مرة اخرى وتولى عرشها هؤلاء الملوك :

رب شمس ــ يدل ال بين بن رب شمس ــ اليفع ريم ريام يدع ايل ــ يدع اب غيلن بن يدع ال بين ــ العز بن يدع اب غيلن ــ يدع اب غيلن بن امينم ــ يدع ال بيين بن يدع اب غيلن ــ عم ذخر ــ العزيز عم ذخر ــ الهان علهان بن العز ــ العز بن الهان ــ اب يدع مكرب ــ يرعش بن ابن يزع ــ علهان يرعش .

وقد حكم هؤلاء الملوك من ١٨٠ ق م الى ١٢٥ ب م . ويرى فيلبي ان وضع الدولة غدا غامضاً منذ سنة ١٢٥ ب م حتى سنة ٢٩٠ ب م وإن كان لا يسوغ القول إنه لم يكن لها كيان مملكة خاص . غير ان هناك نقوشاً تدل على انها خضعت نهائياً سنة ٢٩٠ ب م لملوك سبأ وذو ريدان فاضيف الى لقبهم في هذا الظرف اسم حضرموت واصبحوا يلقبون بلقب « ملك سبأ وريدان وحضرموت » .

وقد سجل على لوح نحاس (١) اسم ملك من ملوك حضرموت هو « صدق ذخر بن اب الشرح » وذكر النص المدون على هذا اللوح ان هذا الملك قدم نذوراً لسين وعلم وعثر لخيره وخير شبوه وخير اولاده وافراد أسرته . ووردت في الكتابة اسماء قبائل يظهر انها كانت خاضعة لحكمه وهي مرثد واذهن وينعم في حين ان اسم هذا الملك لم يرد في القوائم السابقة . ولا يعلم اذا كانت حضرموت في عهد هذا الملك قد نزلت عن مرتبة المملكة المستقلة ذات الكيان البارز الى امارة اقطاعية خاضعة لدولة اخرى وان تلقب رئيسها هذا بلقب الملك هو من قبيل التسميات التي كانت شائعة حيث كان بعض امراء وزعماء المقاطعات والمشيخات الثانوية يتلقبون بهذا اللقب على ما مر امثاله في الكلام عن سبأ .

ـ ٣ ـ

صور عن الدولة الحضرموتية مقتبسة من نقوشها

ومما عرف من النقوش الحضرموتية انه كان كلما ولي عرش المملكة ملك جديد ذهب

---

(١) هذا اللوح موجود في المتحف البريطاني على ما ذكره جواد علي .

هو وكبراء دولته الى حصن اسمه « انود » فاقام حفلة تتويجه وتلقب بلقب الملك فيه وقرب بهذه المناسبة القرابين للآلهة . وكان ملوك وامراء الدول والمشيخات المجاورة او الخاضعة يرسلون نواباً عنهم لشهود الحفلة وتهنئة الملك الجديد .

وقد وجدت كتابات ذكرت قيام هذه الحفلات بمناسبة جلوس ملوك عديدين في مختلف الظروف . فجاء في احداها ان العز يلط ملك حضرموت بن عم ذخر سار الى حصن انود ليتلقب بلقبه (١) ، وانه شهد حفلة التلقيب رجلان من اشراف حمير بعث بهما ثارن يعب يهنعم ملك سبأ وذو ريدان . وممن سجلت اسماؤهم من شهود الحفلة « يضرم بن نهدم ورقشم بن اذمر والم بن يحلل واب كرم ذو دم » وذكر انهم ذهبوا لمساعدة سيدهم العز يليط حين ذهب الى حصن انود لاعلان نفسه ملكاً ، مما يدل على انهم من رجال الدولة او البلاط . وقد سجلت كتابة اخرى خبر مثل هذه الحفلة لاعلان لقب « رب شمس » وهو اول ملوك الاسرة الجديدة الاخيرة مما يدل على ان هذه العادة ظلت مستمرة من عهد اسرة الى عهد اسرة اخرى . ومما ذكر في الكتابة ان رب شمس ذبح ٣٥ ثوراً و ٨٢ خروفاً و ٢٥ غزالا وثمانية افهد قرباناً لهذه المناسبة . وليس في الآثار ما يساعد على معرفة صفة هذا الحصن المختار لهذه الحفلات . ومن المحتمل ان يكون فيه معابد لآلهة رئيسية من آلهة حضرموت وان تكون الحفلات فيه مزيجة من المظاهر الدينية والسياسية .

ومن الكتابات الحضرموتية التي عثر عليها كتابة سجلها رجل اسمه شكمم سلحن بن رضون ذكر فيها ان مكرب حضرموت « اب يزع » كلفه الاشراف على بناء حصن قلت وغيره من الحصون واقامة استحكامات لصد الحميريين الذين كانوا يحاولون اخضاع حضرموت لسيادتهم وان المكرب وضع تحت امرته عشرين رجلا للاشراف على العمل وامره بانجازه خلال ثلاثة اشهر فتم العمل كما رسم ، كما انه انشأ استحكامات ساحلية لحماية البر من الهجوم الذي كان يقوم به العدو من جهة البحر ، وانه اقام حصوناً على لسانين بارزين في البحر كما حصن المنفذ المؤدي الى وادي ابنة ومدينة مينعة وبنى لها سوراً قوياً وبرجين واماكن يلتجيء اليها الجنود ، مما فيه دلالة على ما كان من تشاد بين دولتي حضرموت وسبأ في عهد الحميريين الذين برزوا في اواخر القرن الاول قبل الميلاد وعلى ان حضرموت كانت قائمة كدولة مستقلة فى هذا الظرف .

---

(١) هذا نص هذه الجملة بالحضرموتية « العز يلط ملك حضرموت بن عم ذخر سيراذ جندلن انود هس لقب » .

ومن الكتابات كتابة يسجل فيها الحمد والشكر الى إلهه مع ذكر تقديمه تمثالـــين من الذهب لمعبده في نعلم لنجاة سيده وشفائه من الجرح الذي اصابه في المعركة التي وقعت في مدينة ثبير الواقعه في ارض يحر من المعارك التي وقعت بين شمر ذو ريدان واب انس من قبيلة مهرم وامراء خولان وملك سبأ وملك حضرموت. وليس في الكتابـــة تفصيل لاسباب وظروف هذه المعارك التي تدل على انها وقعت بين مجموعات متحالفة ضد بعضها في طرفها الواحد ملك سبأ وفي طرفها الثاني ملك حضرموت .

— ٤ —

صور عن حضرموت في المدونات القديمة

ولقد ذكر بلينوس المؤلف الروماني اسمي « سابوتا » و « اراميتا » اللذين يظن انهما تعينان « شبوه » و « حضرموت » وقال انها تقع في منطقة جبلية وان على مسيرة ثمانية ايام منها تقع منطقة اللبان ، وان فيها غابات كثيفة وان شعبها احتكر تجارة اللبـــان والطيب فادى ذلك الى ارتفاع ثمنها ارتفاعاً فاحشاً .

وقد ذكر بطليموس ان مدينة غان اوقان Cane هي ميناء حضرموت ، ووصفهـــا اريانوس بانها الميناء الرئيسي لملك ارض اللبان الذي سماه Eleaises (العز) وقـــال ان عاصمة هذا الملك هي Sabathe (شبوه) . حيث يقصد مملكة حضرموت . ومما ذكره هذا المؤرخ ان هذه المادة الثمينة تتجمع في ميناء قان وتصدر منها الى الخـــارج اما براً مع القوافل او بحراً . وقال إن هذا الميناء يقع الى شرق عدن ، وفي كل هـــذا دلالة على ان المملكة الحضرموتية كانت قائمة ككيان مستقل في حياة هذا الكاتب ، وان سلطانها كان يشمل معظم القسم الجنوبي الساحلي على البحر الهندي الى عدن على البحر الاحمر .

ولقد ذكر نورمان نقلا عن اغاثرسيس ان قصور الحضارمـــة كانت قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب وانهم كانوا يعلقون على ابـــواب منازلهم صحائف الذهب المرصعة بالجواهر ويحيطون منازلهم بحدائق غناء وان لديهم الموائد والاسرة من الفضـــة والرياش من افخر الانسجة (١) . مما فيه دلالة على ما كانت تتمتع به هذه المملكة من ثروة ورفاه .

---

(١) تاريخ حضرموت السياسي الجزء الاول صلاح البكري .

ويرجح ان عاصمة حضرموت القديمة قبل شبوه كانت مدينة ميفعة التي مر ذكرها في الكتابة المسجلة في عهد الملك اب يزع . وقد ذكرت في كتابة اخرى جاء فيها ان الملك يدع ايل بن سمه على رمم اسوارها . وذكرت في كتابة ثالثة جاء فيها ان « هيل بن شجب » بنى سوراً للمدينة وجدد ابوابها وانشأ فيها بيوتاً ومعابد اخرى واتم عمله من بعده ابنه « صدق يد » فاعلى سور المدينة واحكمه . ومن المحتمل ان يكون هذا الرجل وابنه مهندسين او مقاولين قاما بالعمل على حساب الدولة .

وفي النصوص التي اشرنا اليها في سياق الكلام عن مملكتي سبأ وقتبان شيء متصل بتاريخ هذه المملكة السياسي والحربي مما لا نرى اعادته هنا . واذا كانت النصوص لا تمد المؤرخ بايضاحات كثيرة عن شؤون هذه المملكة كما فعلت بالنسبة لسبأ وقتبان فالراجح ان مرد هذا هو الى كونها لم تتمتع بسلطانها وكيانها باستمرار كما تمتعت هاتان المملكتان .

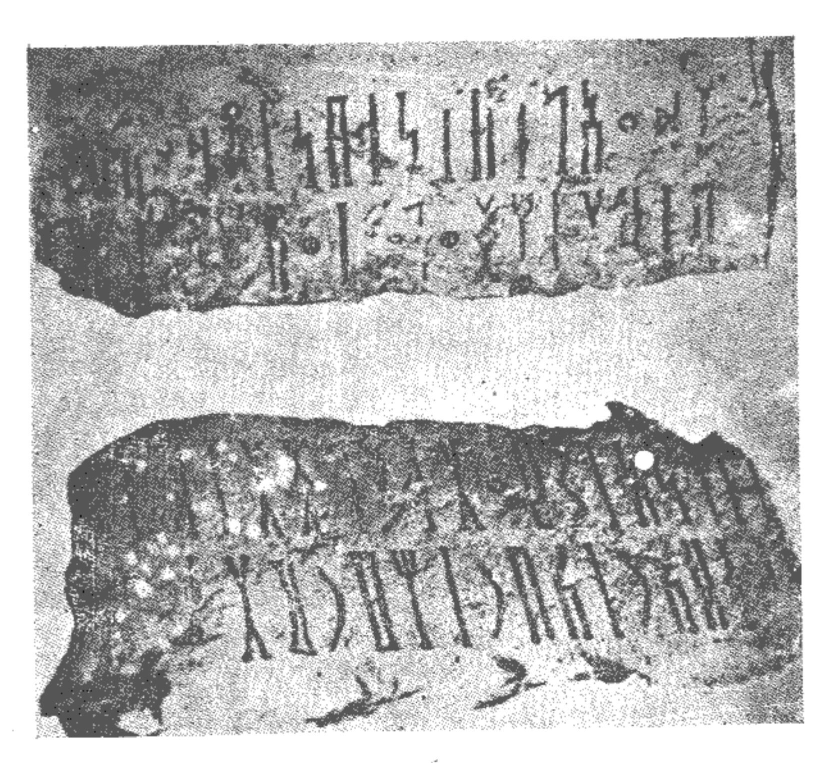
— ٦ —

عاد والاحقاف في القرآن

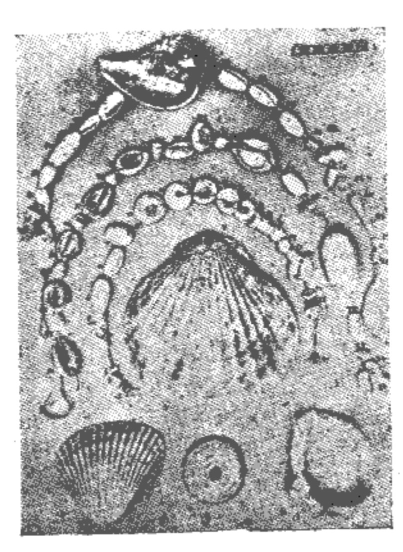
هذا ، ويحسن ان نشير في هذا المقام الى ما ورد في القرآن من فصول عديدة عن عاد قوم هود في الاحقاف التي تقع في شمال منطقة حضرموت اليوم . وننقل منها الفصل التالي على سبيل المثال :

« إذ قال لهم اخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول امين . فاتقوا الله واطيعون . وما اسألكم عليه من اجر إن اجري إلا على رب العالمين . أتبنون بكل ريع أية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي امدكم بما تعلمون . امدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون . إني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم . » الشعراء ١٢٤ _ ١٣٥

وهذا الفصل وامثاله لم ترد في القرآن للقصة والتاريخ وانما وردت للعظة والتذكير . وقد كان السامعون للقرآن يتداولون على ما تلهمه اخبار عاد ونبيهم هود جيلا عن جيل، ويرون آثارهم في رحلاتهم على ما تدل عليه آيات قرآنية عديدة منها هذه الآية :



كتابة عثر عليها في شبوه بحضر موت دونها « يدع ال بني بن يدع اب ملك حضر موت لمناسبة بنائه سور شبوه . وذكر في الكتاب اسماء الآلهه ذات خشول « ذت حشولم « وذات حمى « ذت حميم » للتبرك



مواد زينة عثر عليها في احدى مقابر الحريضة بحضرموت ..

« وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين » العنكبوت ٢٨

ويلفت النظر الى ما احتواه الفصل من بناء الآيات في كل ريع والى اتخاذ المصانع ، فالآيات هنا بمعنى العلامات او القلاع والريع بمعنى ذروات الجبال والهضاب والمصانع بمعنى صهاريج المياه او خزاناتها او سدودها ، وهذا الوصف متطابق مع ما عرف من مآثر ونشاط القسم الجنوبي من جزيرة العرب وعمرانه وجناته ومياهه رخزاناته وقوته الخ .. والراجح ان تجار الحجاز كانوا يرون في الاحقاف اطلالا او منشآت قائمة ويعرفون بالتداول انها باقية من قوم عاد كما يعرفون بالتداول كذلك اشياء كثيرة عن نشاطهم ومآثرهم .

ولقد اطنب كتاب العرب القدماء في وصف ملوك عاد وعمران بلادهم ومدنهم وجناتهم وذهبهم وجواهرهم اطناباً كثيراً . ومهما شيب هذا الاطناب بالمبالغة فان فيه كثيراً من الحقائق المؤيدة يراهن الاطلال والآثار القائمة .

فاما ان تكون هذه « العاديات » اصلا او فرعاً للدولة الحضرمية او للدولة المعينية التي هي اصل للدولة الحضرموتية ، واما ان تكون شيئاً آخر قبلها لعل الآثار المكتشفة حديثاً والتي لم تعلن نتائج دراستها تجلوها ..



« تمثال لصيدق ايل فرعم بن معدايل ملك اوسان »

دول وامارات وقبائل مهمة اخرى في جنوب الجزيرة

وبالاضافة الى الدول الخمس التي سبق الكلام عنها والتي ساعدت الآثار والمدونات القديمة على معرفة كثير من شؤونها فان هناك امارات وقبائل مهمة اخرى وردت اسماؤها في النقوش وان لم تمدنا بشيء كثير عنها كما امدتنا عن الدول الخمس .

— ١ —

المملكة الاوسانيه وآثارها (١)

منها « المملكة الأوسانية والشعب الأوساني »

ويظهر من الآثار ان هذا الشعب كان خاضعاً في بدء الأمر لمملكة قتبان ثم انفصل عنها في ظرف من الظروف واستقل في السلطان ، وشمل سلطانه بالاضافة الى بـــلاده الأصلية اراضي وشعوب او قبائل دهس ودتنت وتبنى التي كانت هي الاخرى في نطاق سلطان قتبان .

وقد عثر على نص ذكر فيه خبر زحف قام به الملك السبئي كرب ايل وتر على بلاد أوسان وقهره ملكها مرنوم واحتلاله مدناً أو مناطق تابعة له مثل همان وانغم وحـــبن ورياب ورثا وجردان ودتنت . وكان ملك قتبان حليفاً لسبأ في هذا الزحف انتقاماً من اوسان التي تمردت عليها وخرجت عن سلطانها . وقد كافأه الملك السبئي فاعاد اليه بعض ما استولى عليه من أقاليم أوسان .

وعلى قلة ما اكتشف من الكتابات الاثرية عن اوسان فقد وجدت عدة تماثيل لبعض ملوكها تعد من انفس ما عثر عليه من نفائس جزيرة العرب واولى تماثيل تصل الينا من تماثيل ملوك العرب . وقد كتبت على قاعدة كل تمثال اسم الملك الذي يمثله . فمنها تمثال كتب عليه « يصدق ايل فرعم ملك اوسن بن معد ايل » ومنها تمثال كتب عليه « زيدم

---

١) جواد علي ج ٢ ص ٩٣ — ٩٧

سيلن بن معد ايل » ومنها تمثال كتب عليه « معد ايل سلحن بن يصدق ايل ملك اوسن» ومنها تمثال كتب عليه « يصدق ايل فرعم شرح عت ملك اوسن بن معد ايل سلحن ملك أوسن » . وقد ورد اسم الملك يصدق ايل فرعم شرح عت بن ودم الأوساني في كتابة سجل فيها خبر تقديمه معمر لالهه دون ذكر اسم الالــه . والراجح ان المقصود بكلمة معمر مذبح او مبخرة . وقد ذكر اسم الملك معد ايل سلحن بن زيدم في كتابة تشير الى معاهدة عقدت بينه وبين زرآن الذي يظن انه احد ملوك الحبشة او امير مشيخة من المشيخات المجاورة . وورد اسم « يثع غيلن لحى » محفوراً على تمثال من المرمر .وعثر على كتابة أوسانية لأمرأة اسمها رثده جاء فيها انها قدمت لسيدها يصدق ايل فرعم شرح عت ملك اوسن تمثالا من الذهب ليحفظ في معبد نعمان كما امرها سيدها بذلك . وقــد عثر على كتابات اوسانية عديدة تذكر مثل هذا العمل مما يدل على انه عادة دينية شائعة في بلاد اوسان او في الخطة اليمانية كلها حيث تقدم تقدمات باسم الملوك من قبل البارزين من الشعب لتحفظ في المعابد .

وهذا الفن الأوساني المتمثل في التماثيل النفيسة وهذا العدد من الملوك الاوسانيين مما يدل على ان هذه المملكة شغلت حيزا مهما في حقبة السلطان السبئي . ومن المحتمل كثيراً ان يكون لها مخلفات اثرية اخرى لم تكتشف او لم تدرس وفيهــا تفصيــل اوفى عن مختلف شؤونها .

– ٣ –

« حملان »

ومنها امارة او قبيلة حملان . وقد قرىء في نقش مشوه اسم حملان بعد جمــلة « كبر اقيان » التي تعني زعيم المنطقة او القبيلة كما عثر على هذا الاسم في كتابات عديدة اخرى ترجع الى دور الأسر الهمدانية التي جلست على عرش سبأ في القرن الرابع قبــل المسيح وبعده في سياق الحروب التنافسية التي كانت مشتدة بين الأسر البارزة حول هذا العرش، مما فيه دلالة على ما كانت هذه القبيلة او الامارة تشغله من حيزهم .

وقد تحدث الهمداني في كتاب الأكليل عن حملان وقــال إنه كان في غرب صنعاء

مخلاف بهذا الاسم (١) .

- ٣ -

سخـــيم (٢)

ومنها امارة او قبيلة سخيم التي عثر على كتابات عديدة ورد فيها اسمها وتـــدل على انها كانت تتمتع بمنزلة محترمة وتشغل حيزاً مهماً . وكانت تملك ارضين واسعة تؤجرها الى من دونها من القبائل بجعل سنوي وخدمات تؤديها لزعمائها . وقد اعترف ملوك سبأ لها بالرئاسة على هذه القبائل . وكانت مدينة شبام تسمى باسمهـــا « شبام سخيم » حيث كان لها فيها النفوذ والزعامة . وكان لها فيها ندوة « مزود » يتداول زعماؤها فيهـــا في شؤون السلم والحرب . وكان منها اقيال حكموا قبائل اخرى ، وقام رجال منهم باعمال عمرانية عديدة مثل فتح طرق وحفر قنوات ومسايـل مياه . ومن اسماء امرائهم التي ذكرت اسماؤهم واعمالهم في الآثار « يشرح ايل اسرع » ، وقد ذكر اسمه في كتابات عديدة وجاء في احداها انها ساعد عشيرة من العشائر التابعة لسخيم على بناء مزود لها .

ومن القبائل التي عرف من الكتابات انها كانت تابعة لنفوذ سخيم « سمعى وذ مليحم وخسأ وعقرب وبرسوم » التي كانت تنزل في منطقة شبام . وقد وصفت احدى الكتابات خسأ وعقرب بصفة « آدم بن سخيم » اي اتباع بني سخيم او خولهـــم او زلمهم بتعبير اليوم . وقد جاء ذكر هذه القبائل وغيرها في كتابة اخرى وجاء بعدها جملة « امراهمو سخيم » اي وامراؤهم بنو سخيم . وقد عثر على نص ذكر فيه اسم يجعر بن سخيم بصفته قيلا من اقيال سمعى . وورد اسمه مع اسماء عدد من الاقيـــال شوهت حروفها بمناسبة تقريبهم الى معبد الاله تالب ريام خمس تماثيل ليمن على الملك الشرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان وعلى ابه وتر وعليهم وعلى بيتهم بالعافية والخير العميم ، مما يـــدل على ان الكتابة كانت في عهد هذا الملك اي في اواخر القرن الثاني قبل المسيح وان هؤلاء الاقيال كانوا تحت سلطانه .

- ٤ -

خولان (٣)

ومن القبائل التي ورد ذكرها في الآثار امارة وقبيلة خولان . وقـــد احتوى نص

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٩ والمخلاف تعبير يمني بمعنى الامارة

(٢) المصدر السابق ص ١٩٨ (٣) المصدر السابق ص ٢٠٣



« تمثال الملك معدايل سلحن بن مصيدق ايل ملك اوسان »

مبتور خبر حرب مع ملك سبأ اشتركت هذه القبيلة فيها وكان يرأسها « ذو خولان » اي اميرها . واحتوى نص آخر خبر هجوم سبئي على قافلة معينية اشترك الخولانيون فيه الى جانب السبئيين مما فيه دلالة على انها كانت من القبائل المهمة القوية والبارزة . وقد ورد ذكر هذه القبيلة في احد النصوص مع اسم ردمان الذي يظهر انه اسم لقبيلة اخرى كانت حليفة لها او متحدة معها .

ومما عرف من النصوص ان الأمرة على هذه القبائل المتحالفة كانت لاسرة معاهر « ذو معاهر » التي يظن انها خولانية ، وانه كان لهذه الاسرة ارضون زراعية واسعة وخصبة في وادي ضنفح ووادي آخر ووادي مزيق وموقع اسمه ذات حرض ومواقع اخرى .

وقد ذكر الهمذاني في الاكليل قصراً منسوباً لذي معاهر ووصفه بأنه من القصور العجيبة .

وكانت منازل خولان جوار مأرب وصرواح . ومن اسماء الاقيال المعاهريين التي قرئت في النصوص « كرب اسرع ونصر يهحمد » وقد جاء في النص الذي ذكر فيه نصر خبر قيامه باصلاح ارض وادي ملتنث حيث حفر أباراً وانشأ سدوداً وزرع اشجاراً وبذر حبوباً وسجل ما اصلحه ملكاً خاصاً له واعلن ذلك للناس في شهر «صيد من سنة مئة واربع واربعين » وقدر الاثريون ان هذه السنة تقابل سنة تسع وعشرين بعد المسيح . وقد قال جواد علي في الجزء الثاني من كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام ، ان هذا النص هو اول نص مؤرخ بتاريخ نعرفه وصل الينا بالمسند من العربية الجنوبية ولعله اقدم نص عربي مؤرخ بتاريخ معروف على الاطلاق .

ويظهر من هذا النص ان هذا القيل (الامير) كان تابعاً لملك حضرموت العز يليط حيث ذكر صاحبه اسم هذا الملك بوصفه سيده .

ويستفاد من النصوص انخولان ساهمت في الصيال التنافسي الذي وقع بين الاسرة المرثدية والاسرة البتعية وكانت في البدء ضد علهان تهفان البتعي ثم انقلبت ضد الشرح يحضب المرثدي ..

- ٥ -

ردمان (١)

وقد عثر على نقش يستفاد منه ان بعض بطون قبيلة سمعى التي ذكرنا قبل انها كانت

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٧

وقد عثر على كتابة ورد فيها اسم ردمان مستقلا ايضاً وعليهم قيل (امير) من غير ذي معاهر مما يدل على ان القبيلتين انفصلتا في ظرف من الظروف . وقد دون هـــذه الكتابة أو امر بتدوينها القيل نفسه ونعت نفسه بانه « قول ومحرج قبيلة ردمان صاحبة سلفن » . وعثر على كتابة اخرى تدل على ان ردمـــان اندمجت في الحرب التنافسية التي اشتدت بين ملك سبأ وحمير في القرن الاول قبل المسيح . وسجلت الكتابـــة الشكر الى الاله تالب ريام لأنه من على اصحابها بالسّلامة والعافية والنجاة في الحرب التي وقعت بين سبأ وحمير .

وقـــد ذكر اسم ردمان كل من استرابون وبلينوس وقـــال الأخير ان عاصمتهم « مارسيابا » حيث يدل هذا ايضاً على ان ردمان انتقلت عن خولان وبرزت كصاحبة كيان خاص مرموق وان كانت تحت سلطان دولة سبأ الأعلى كغيرهـــا من الامارات الثانويـــة .

- ٦ -

بتـــع (١)

ويستفاد من النصوص ان قبيلة بتع التي ينتمي اليها برم ايمن وعلهان نهفـــان اللذان اعتبرا مغتصبين لعرش سبأ على ما ذكرناه في فصل سبأ تتمتع بنفوذ واسع ومكانةمحترمة قبل مناداة برم ايمن بنفسه ملكاً على سبأ ، وكان لها ارضون واسعة تؤجرها لقبائـــل اخرى ، وكانت هذه العشائر تعتبر توابع لها وتوصف بوصف « آدم بتع » اي خولهـــا او رجالها او زلمها بتعبير اليوم .

وكان من بتع اقيال عديدون تولوا حكم هـــذه القبائل عرف من اسمائهم « بارقم ودرح ال يحضل وهوف عثت ولحى عثت اوكن ومرثد غيلان اسعـــد ونشأكرب وتر ونشأكرب يزان ونشأكرب نهفـــان يجعر ورب شمس نمران وردم رحب وعريب بن يمجد وسعداوم نمران وسخمان يهصبح وشرح يهحمد وشرح غيلان وشرح ايل وشرح عث » ، حيث عثر على نصوص دونها بعض اتباع هؤلاء الأقيـــال يذكرونهم بالخير ويشيدون بفضلهم ويدعون لهم بطول العمر والخير والبركة .

---

[١] المصدر السابق ص ٢٦٥

خاضعة لسخيم كانت من اتباع بتع كما عثر على نص يستفاد منــه ان بعض بطون قبيلة حملان التي ذكرناها قبل كانت كذلك من اتباعها ، وهذا النص مدون من قبل جماعة من حملان لمناسبة بنائهم منزل ، وقد سجلوا به شكرهم للاله تالب ريام على توفيقه واشادوا بمساعدة رؤسائهم وسادتهم ورئيسهم صاحب ارضهم سخمان يهصبح من بتع وبمساعدة قبيلتهم الساكنة في مدينة حاز .

وكانت بطون قبيلة بتــع تسكن مدينتي حاز وريام ومنطقتيهما . وبرم ايمن الذي نادى بنفسه ملكاً على سبأ هو من الذين كانوا يسكنون في حاز .

وظاهر من هذا انه كان لهذه القبيلة نفوذ واسع وكيان بارز . ولا شك في ان هــذا هو الذي حفز برم ايمن الى منافسة الاسرة المرثدية على العرش السبئي وجعله ينادي بنفسه ملكاً لسبأ . .

- ٧ -

سمعى (١)

ويستفاد من النقوش ان قبيلة سمعى التي مر ذكرها كانت تشغل حيزاً مهماً وتتفرع الى فروع عديدة متوزعة في انحاء مختلفة . ومنها ما كان تابعاً لقبائل اخرى وخاضعاً لاقيال من هذه القبائل مثل سخيم وحملان وبتع على ما ذكرناه قبل ومنها ما كـــان مطلقاً ذا كيان خاص ومستقل .

وقد قرئت اسماء تهفان ذيبين بن يسمع ايل ابن سمه كرب ، وسمه افق ابن سمـــه يفع بوصفهما ملوكاً لسمعى مما فيه دلالة على الحيز المهم الذي كان يشغله بطون سمعى المستقلة.

وقد عثر على نص دونه تهفان افتتح بالدعاء للاله تالب بان ينعم عليــه ويبارك له ولاولاده زيدم ويزد ايل واولادهما واملاكهم جميعاً وبيتهم المسمى بيت « بعــد » وارضهم ارض تالق والاملاك التي ورثها عن الملك سمه افق بن سمه يفع ملك سمعى من اراض زراعية وقرى ومدن وارض نعمات وغيرها . وذكر في هذا النقش بنورا بان وعم شفق وهم من الاقيال كحلفاء لقبيلة سمعي مما فيه الدلالة على ما كانت هذه القبيلة تتمتع به من كيان مستقل واب كان خاضعاً لسلطان سبأ الاعلى على ما يستفاد من النقش ايضاً.

---

[١] المصدر السابق ص ٢٦٨



« تمثال زيدم سيلان بن معداين ملك اوسان »

- ٨ - (١)

وعشيرة مرثد التي ينتمي اليها ملوك الأسرة الثالثة من الاسر السبئية من العشائر المهمة التي ورد ذكرها كثيراً في نقوش سبئية عديدة .

ومما تفيده هذه النقوش ان هذه العشيرة كانت تنزل قرب همدان حيث كان لها اراض واسعة غنية يستأجرها افرادها وبطونها من المشايخ والامراء . وقد كانوا يستأجرون اراضي اخرى في هذه المنطقة من اوقاف الاله المقه ويدفعون اجرتها لكهان معبد هذا الاله ، وانه كان لهذه العشيرة مشيخات او امارات في مدينتي عران وهران . حيث وصف بعض زعمائهم وفروعهم بوصف ذي هران وذي عران .

وممن ذكروا في النقوش زعيم اسمه ريبم . وقد سجل في النقش الذي ورد اسمه فيه خبر تقربه الى الاله المقه ذي عران — اي اله مدينة او مقاطعة عران — بنذر شكر باسمه واسم شعبه ذي عران.

وقد سجل في نقش آخر خبر تقديم جماعة من بني ارقط نذراً للاله المقه ذي هران — اي اله مدينة او مقاطعة هران — تمنوا به السعادة لهم ولامرائهم بني مرثد . وسجل نقش آخر من قبل جماعة من بني نبشم يذكر فيه خبر تقديم نذر الى الاله المقه ذي هران في زمن اميرهم يثعم من مرثد ، ونقش آخر من احد بني اخرف ذكر فيه اسم يفرع كرئيس من رؤساء مرثد ، وخبر تقديمه النذر الى سيده المقه ذي هران . حيث يدل هذا على انه كان لقبيلة مرثد نفوذ وانصار واتباع ، وهو ما جعل بعض زعمائها يتطلعون الى الملك ويسعون في سبيله ويتوصلون اليه كما هو المتبادر .

- ٩ -

اسماء قبائل عديدة اخرى (١)

وهناك الى هذا اسماء قبائل كثيرة اخرى ورد ذكرها في النقوش المعينية والسبئية والقتبانية والحضرموتية والاوسانية ولم يرد بيان شاف عن ادوارها ومراكزها في الاحداث

---

[١] العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ١٧٢ – ١٧٦

[١] المصدر السابق ص ٩٣ – ٢٧٥

الجارية في عهود الدول التي كانت فيها مثل قلب ، ودهسم ، وكحد ، ويهر ، ومزجم ، وبقلم ، وهورن ، وملك ، وهيبر ، وذرآن ، ويجر ، وغيلان ، وشهر ، وذرحـــان ، وذمران ، وبوسان ، وشحط ، وورقان ، واحرم ، وملحم ، وشعتم، واهربان،وشحز ، وعلسن ، وحاشد ، ومذمر ، ورعنن ، وذبحان ، وذكران ، وردا ، وشمر ، وشبعان ، وليسان ، وعرقان ، وبرصم ، وقشمم ، وبين ، وجدن ، وجرب ،ويرم ، ويفعـــان ، ومريهان ، وذيبان ، واذهن ، وينعم ، ومعهر ، ورمى ، ومريهن ، ويهبار ، واشـــد ، ويبران ، وقدران ، وحزفر ، وكمنهو ، وحنكان، وحنان ، وعود، ومهامرم ،وعوهم، واربعن ، وارفط ، ونبش ، وعبدم ، وكتبنم ، وجلبم ، وصوفان ، ويهفرع ، واشيب ، وقربن ، وحيثم ، وذنجان ، ومعتن ، وابكل ، وخلل ، وزحرن ، وددن ، ومخطرن الخ.

ويلفت النظر الى اللمحة العربية الصريحة التي على اسماء القبائل والشعوب المذكورة. ولقد استمر وجودهم على ما هو المتبادر في نطاق الدولة الحميرية التي اخرنا الكلام عنها الى القسم الثاني لانها كانت في دور العروبة الصريحة مع تطور في اسمائها حتى غدت اعلاماً على اصحابها حينما تم بروز شخصية العرب الصريحة في الجنوب . وكان ينبغي ان يذكروا في القسم الثاني وفي نطاق هذه الدولة . غير اننا سلكناهم في هذا القسم لان كيانهم كان ممتداً الى اجيال او قرون عديدة قبل قيام الدولة الحميرية وبروز العروبة الصريحة بصورة قوية اولا ومتصلا بالدولة السبئية الأولى واحداثها ثانياً (١) .

---

(١) مرجع النبذ ١ ـ ٨ هو تاريخ العرب قبل الاسلام [illegible] ، ج ٢ ص ٩٣ ـ ٢٧٥

لمحة في العقائد الدينية [1]
في جنوب الجزيرة

- ١ -

لقد نوهنا بالمآثر المتنوعة لسكان جنوب الجزيرة قبل دور العروبة الصريحة خلال المباحث السابقة بالقدر الذي ساعدت عليه النقوش والمدونات القديمة الراهنة ، وبالايجاز الذي ترسمناه .

ولقد كان كثير من النقوش التي عثر عليها نقوش دينية ، حتى إن كثيراً مما اوردناه في المباحث السابقة من اسماء الملوك واحداثهم قد اقتبست منها . وفي هذه اللمحة سننوه بما احتوته هذه النقوش من الشؤون المتصلة بالعقائد الدينية لتتم الصورة بقدر الامكان .

وننبه على ان اقتضاب هذه النقوش لن يساعد على رسم صورة وافية عن هذه العقائد ، وانه ليس من مناص الا كتفاء بما تساعد هذه النقوش على رسمه من صورة مهما تكن ناقصة فانه يمكن ان يبان منها خطوط عامة عنها .

- ٢ -

والمستفاد من هذه النقوش ان العقائد والحياة الدينية في جنوب الجزيرة كانت متماثلة على اختلاف الادوار والبيئات . فقد كان القمر هو المعبود الرئيسي مع اختلاف في تسميته وتطور في اعتباره ثم يأتي بعده الشمس ثم الزهرة على اختلاف كذلك في تسميتهما وتطور في اعتبارهما . وكان لكل شعب او قبيلة اله قومي خاص يعتبرونه حامياً لهم ورابطة تربط بين وحداتهم . وكان لهم الى هذا وذاك آلهة ثانوية اخرى . وكانوا يصنعون لآلهتهم تماثيل يضعونها في معابدهم ليؤدوا عندها طقوسهم ويقربوا قرابينهم .

ولقد كانت المعبودات الرئيسية الثلاثة في الدولة المعينية تسمى « ود » و « نكرح » و « عثتر » بالتوالي وكان القمر مذكراً والشمس مؤنثة والاول بمثابة زوج للثانية .

---

(١) مرجع هذه اللمحة تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ١ ص ٣٨١ — ٣٩٧ و ج ٢ ص ٨ – ٥٦ و ص ٦٤ – ٩٨ و ص ١٠٠ — ٢٧٥

وكانت الزهرة تنسب الى المدن والمناطق فيقال عثتر يهريق وعثتر قبض مما قد يكون فيه دلالة على انها كانت تعتبر ابنة لها . ولقد عثر على شاهد قبر امرأة معينية عليه صورة الميتة ورمز الزهرة في وضع توسلي لانزال الويل على من يتجاسر على تغيير الحجر عن موضعه مما قد يكون فيه دلالة ما على ما قلناه .

وكان الشعب المعيني يسمي نفسه ابناء ود ويعتبر هذا المعبود الهه القومي وحاميه والرابطة التي تجمع بين وحداته وفروعه .

ولقد كان ود في اثناء قوة الدولة المعينية وسلطانها الشامل الهاً رئيسياً عاماً لجميع الامارات والمناطق الخاضعة لها ، فمن المحتمل انه كان اله المعينيين القومي قبل ان تصبح السيادة الشاملة لهم ثم ظل ذلك ملحوظاً عندهم مع ارتفاع منزلته وعمومية عبادته .

ولقد قرىء في نقش معيني عبارات « ذات نشقم » و « معبد يثعم » واسم « يثل » في جملة فيها تعداد لآلهة معين وليس فيها بيان ما . فإما أن تكون اسماء مدن فيها معابد لآلهتهم المعروفة وإما أن تكون أسماء معبودات ثانوية ظلت هويتها ومركزها غامضاً .

وقد كانت اسماء الآلهة الرئيسية عند الحضرموتيين نفسها عند المعينيين . غير انهم كان لهم اله قومي حاميهم ورابطتهم يسمونه « سين » وكانوا يسمون انفسهم ابناء سين . وقد عثر على نقش حضرموتي سجل فيه صاحبه « ان نفسه وروحه واولاده ومقتنياته ونور عينيه وما يفكر به في قلبه هو لسين اله حضرموت . وقد وجدت آثار معبد ضخم لسين في خرائب مدينة حضرموتية اسمها مذب . وقد قرىء في بعض النقوش جملة سين ذ مذبم اي سين مدينة مذب ولعلها كانت تشير الى هذا المعبد .

وبعض النقوش يفيد ان اسم سين كان يطلق على القمر ويعتبر المعبود الرئيسي الاول في فترة من الفترات . ولعل هذا كان حينما غدت حضرموت قوية متمتعة بسيادة شاملة نوعاً ما على ما جاء بيانه في المباحث السابقة .

وقد قرىء في نقوش حضرموتية اسماء الهين آخرين وهما ذات حشو وذات صميم دون بيان عن هويتهما ومركزهما . وجملة « ذات كذا » كانت تعني وصفاً للآلهة الرئيسية . وليس من المستبعد ان تكون هنا من هذا القبيل .

وقد قرىء في نقش حضرموتي على لوح نحاسي موجود اليوم في المتحف البريطاني دونه الملك الحضرموتي صدق ذخر اسماء سين وعلم وعثتر . وقد ورد في نقش حضرموتي آخر جملة « سين ذ علم وسين ذ مشور وسين ذ علم ذ علق

احن » (١) وقد فسر جواد علي عبارة سين ذ علم بمعنى سين العالم او العليم اي اعتبر العبارة وصفيّة وليست اسم معبود جديد . وقال ان معنى الجملة معبد سين العليم في مدن مشور وعلق وأحن .

وقد قرىء في نقش حضرموتي اسم « حول » مع اسماء سين وعثتر وشمس ، دون بيان ما ، وهذا النقش سمي الالهة الشمس باسمها العربي بديلا عن اسم نكرح المعيني .

ولقد سمى القتبانيون القمر ودآ كما فعل المعينيون والحضرموتيون وسموا الشمس عثيرة على ما تفيده نقوشهم . وقد كان لهم الى هذين المعبودين معبود قومي اسمه عم ويعتبرونه حاميهم ورابطة عقدهم ويسمون انفسهم اولاد عم . وكان لعم معابد في المدن ينسب اليها مثل عم ذو شقرن وعم ذو ريمت وعم ذو يسرن اي معابد عم في بدن شقرن وريمت ويسرن .

وقد قرىء في نقوش قتبانية اسم اله آخر هو انبى . وفي احداها انه دون تقرباً للاله انبى ودعاء له ليمن على الارضين بالخير والبركات مما يمكن ان يدل على انه كان اله المطر والخصب او أنه كان يشغل المركز الذي كانت الزهرة تشغله عند المعينيين وهو على هذا الاحتمال ثالث الثالوث .

وقد قرىء في نقوش قتبانية عبارات « حوكم وذات صفتم وذات ظهران وذات صنطم وذات رحبن » وقد خمن الاثريون ان جملتي ذات ظهرن وذات رحبن وصفيتان توصف بهما الشمس ولم نرهم يعلقون على العبارتين الثانيتين . ولا يمكن القطع بما اذا كانتا جملتين وصفيتين او اسمين لمعبودين ثانويين من معبودات القتبانيين .

وقد قرىء في نقش لامرأة اوسانية جملة « معبد نعمان » دون بيان آخر . ولا يمكن الجزم بما اذا كانت كلمة نعمان تعني اسم المدينة التي فيها المعبد او اسم معبود اوساني لعله المعبود القومي للاوسانيين .

والسبئيون كانوا يسمون معبودهم القومي باسم « المقه » ولما صار لهم السلطان الشامل صار المقه معبودا عاماً للدولة مع بقائه معبودهم القومي على ما تفيده نقوشهم .

وقد كان اسم المقه يرمز الى القمر . ولا ندري هل كان هذا قبل ان صار معبوداً عاماً للدولة او بعد ذلك .

وقد قرىء في نقوش سبئية عبارات « عثتر وهوبس وذات حميم بالاضافة الى المقه .

---

(١) حرف ذ الذي يسبق الكلمة يفيد معنى النسبة او الصاحب او الذي حسب مداول الكلمة .

ويخمن الاثريون ان جملة ذات حميم وصف للشمس ، وان السبئيين كانوا يصفونها كذلك باوصاف ذات بعدن وذات خضرن وذات برأن . وهكذا يكون ثالوث القمر والشمس والزهرة قد استمر في عهد الدولة السبئية التي صارت شاملة السلطان بعد الدولة المعينية مع تبديل في التسمية للشمس والقمر . ولا تذكر النقوش شيئاً عن هوية هوبس ، مع انها ذكرته مراراً . ولعله من الآلهة الثانويين وان لم يمكن معرفة مركزه . ونقوش السبئيين تفيد انهم كانوا يتوسلون بعثتر في قضاء حاجاتهم ومطالبهم وهو ما كان يفعله المعينيون قبلهم .

وفي العهود الاخيرة من الدولة السبئية وبكلمة اخرى في عهد الاسرة المرثدية ظهرت اسماء معبودات جديدة وتدنت منزلة المقه . ومن الاسماء الجديدة التي ظهرت « ذو سموى » اي رب السماء و « تالب ريم » و « نتف بعلة ذي غفرن » . ويستفاد من النقوش ان تالب ريم كان معبود بني مرثد القومي وحاميهم فتألق نجمه حينما صارالعرش السبئي لاسرة منهم . وقد قرىء في نقوش عديدة نسبة تالب ريم الى المدن مثل تالب ريام بعل مبين وتالب ريم بعل شعرن وتالب ريم بعل خضعتن وتالب ريم بعل مدثن وتالب ريم بعل كبدم (١) . وقد وصف في نقش بوصف شيحهمو اي حاميهم وراعيهم .

اما تسمية ذ سموي فمن المحتمل ان يكون اريد بها القمر او الشمس وان كانت تحمل معنى ابعد من ذلك وبكلمة اخرى تحمل معنى القوة التي وراء الشمس والقمر . وفي هذا تطور مهم في العقيدة الدينية .

وليس في النقوش ما يساعد على معرفة هوية ومركز نتف ولكن النفش الذي ذكرت فيه قبلها مباشرة كلمة « ثمسهمو » ولا ندري هل يعني ذلك ان النتف هي اسم آخر للشمس ام انها وصفت بالشمس .

وهناك نقوش تفيد ان عبادة وذكر ذي سموي كانت محصورة في منطقة معينة ، وكان ينسب اليه مدن معنية مثل ذ سموي اله امرم وذ سموي بعل بين ظعن وذ سموي بعل وترم . فمن المحتمل ان يكون « ذي سموي » في البدء الهاً قومياً لاحدى القبائل ثم اتسعت دائرته ومعناه .

---

(١) بعل وبعلة تعني رب وربة . فبعلة ذي غضرن معناها ربة مدينة غضون وبعل صبين وبعل صبين وبعل شعرن تعني رب مدينة صبين ورب مدينة شعرن .

وهناك نفوش سبئية متأخرة منها ما هو قبيل الميلاد المسيحي ومنها ما هو بعده بقليل ذكر فيها اسماء المقه وعثتر وهوبس وذات حميم وذات بعدان وذي سموي معاً ، وقرىء في بعضها اسم الشمس . حيث يدل هذا على ان الآلهة السبئية التي كانت ذات مكانة عالية في عهد السبئيين الاولين لم تتوار بالمرة مع تــألق نجم تالب ريام ثم ذ سموي في الوقت نفسه .

وقد قرىء في نقش اسم معبود جديد هو فينان لعشيرة اسمها خسأ . ويحتمل ان يكون معبودها القومي . وقد قرىء اسم هذا المعبود في نقوش متأخرة مع اسماء عثتر وتالب ريم وشمس ومع تالب ريم فقط ، وقد يؤيد هذا ما قلناه عنه لانه ذكر مع آلهة رئيسية عامة .

وقد قرىء في نقش كتب بعد الميلاد المسيحي بقليــل اسماء عثتر وسين ذ علم وعم ذ دونم وعم ذ مبرم وعثتر ذ صفتم (١) وود اله مثو وذات بعدان وذات ظهرن وعليت الاهة حررم وشمس الاهة وينين علفقن .

ويدل اجتماع هذه المجموعة على ان آلهة اليمن لم تكن تتوارى وان كان بعضها يتألق على بعض تبعاً للتطور السياسي والعسكري . ولعلها كانت تغدو معبودات خاصــة في مناطق خاصة من قبل انسال الذين اتخذوها معبودات رئيسية في عهد سابق .

وفي المجموعة اسم جديد هو عليت الاهة حررم وليس هناك ما يكشف عن هويــة هذه المعبودة ومركزها . ولعلها معبودة قومية لعشيرة حررم او مدينــة حرم كمــا هو شأن فينان .

وقد قرىء في نقش سبئي متأخر اسم « رمان » بعل علمن . وهــذا اسم معبود جديــد . ومن المحتمل ان يكون كفينان وعليت معبوداً قوميــاً لعشــيرة علمن او مدينة علمن .

وقد قرىء في نقش سبئي متأخر ايضاً اسم الالاهة ذات غيان . وقــد دون النقش جماعة من حملان . ومن المحتمل ان تكون من ذلك القبيل .

وقد قرىء في نقش سبئي متأخر كذلك اسماء الآلهة عثتر وسحر بعلي نفقان وهمس والمقه وذات بعدان وشمس . وفي النقش اسم جديد هو سحر . وهو من ذلك القبيل على الارجح ايضاً .

---

(١) معنى عثتر ذ صفتم هو معبد عثتر في مدينة صفتم ومعنى عم ذ دونم وعم ذ مبرم كذلك .



انه حجر شاهد على قبر رسم عليه صورة عجلة بن سعدلات وان صاحبه يتوسل الى الالـه عثترشرقن بانزال العقاب على من يغيره من مكانه .

ويلحظ ان اسم شمس جاء في النقش الآنف الذكر مع جملتي ذات حميم وذات بعدن دون عطف ولا اشارة وصف . ولا ندري كيف يوفق بين هذا وبين ما قاله جواد علي بان ذات حميم وذات بعدن صفتان للشمس . فهـل صارت هاتان الصفتان في وقت ما معبودتين مستقلتين ؟

وهناك نقوش عديدة ذكر فيها خبر تقديم اوثان من ذهب او فضة او بـدون ذكر معدنها لمعابد الآلهة وفاء بنذر او علامة على شكر . غير انه ليس فيها ما يساعـد على معرفة شكل التمثال وان كان يدل على ان اليمنيين كانوا يصنعون لمعبوداتهم تماثيل مادية يضعونها في معابدهم ليؤدوا عندها طقوسهم ويقربوا قرابينهم . ويتبادر لنا ان تماثيـل الذهب والفضة هي نماذج مصغرة لتماثيل مادية كبيرة للمعبودات هي التي كان يـؤدى عندها الطقوس وتقرب القرابين ويوجه اليها الدعاء والتضرعات .

وهناك نقوش عديدة تفيد انه كان في المدينة الواحدة معابد متعددة للآلهة المتعددة ، وان الملوك والامراء والاغنياء كانوا يهتمون كثيراً لانشاء المعابد وترميمها وتجديـدها وتزيينها .

- ٣ -

وتفيد النقوش انه كان للمعبودات حيز عظيم في اذهان اليمنيين بحيث يـذكرونها ويلحظونها ويتقربون اليها في كل حادث ومناسبة وعمل ويربطون بينها وبين كل مناسبة وعمل وحادث غير انه ليس فيها ما يساعد على معرفة اشكال الطقوس التي كانوا يؤدونها لهم . وليس فيها كذلك ما يدل على انه كان عندهم فكرة عن حياة اخروية وثـواب وعقاب اخرويين . وكل ما تفيده هو انهم كانوا يتعبدون معبوداتهم ويتقربون اليهـا ويذكرونها في مختلف المناسبات ويربطون بينها وبين كل عمل وحادث لشؤونهم المختلفة في الحياة الدنيا وبكلمة اخرى لضمان مطالبهم وقضاء حوائجهم وتحقيق آمالهم ودفـع الشر والاذى عنهم وجلب الخير والنفع لانفسهم . ويلحظ هذا في مختلف النقوش المعينية والحضرموتية والقتبانية والسبئية على السواء وبالنسبة لمختلف الادوار .

ولقد اوردنا نماذج مما احتوته النقوش من اخبار التقدمات والنذور والدعاء للآلهة في مناسبات متنوعة سياسية وحربية لاجل الشكر او التوسل بتحقيق بعض المطالب .

وفيما يلي نماذج اخرى من مختلف الادوار وفيها في الوقت نفسه صـور عن اساليب

حياة اليمنيين في الدور الذي نحن في صدده .

١ ــ نقش حضرموتي قديم دونه معدي كرب احد ملوك حضرموت ذكر فيه وقفه حصناً اسمه خرف للاله عثتر ذ قبضم تقرباً له وللالهين ود ونكرح .

٢ ــ نقش معيني دونه جماعة من آل دبرو اعلنوا فيه جعلهم مبانيهم في حمايـــة عثتر شرقن وعثتر ذ قبض وعثتر ذ يهريق وود ونكرح .

٣ ــ نقش دونه زعيمان معينيان شكروا فيه عثتر ذ قبضم وعثتر شرقن وعثتر يهريق وبقية آلهة معين ود ونكرح لانها نجت قافلة لهم من الغـــزاة وسلمت اموالهم وحفظت ارواحهم حتى وصلوا سالمين الى مدينتهم قرنوا . وقـــد ذكروا في النقش انهم اجروا تزيينات في معبد يثعم كعلامة شكر وابتهاج .

٤ ــ نقش دونه شهر هلل بن يدع احد ملوك قتبان يذكر فيه تقربه الى الاله انبى ليمن على الارضين بالخير والبركات .

٥ ــ نقش قتباني دونه شخص اسمه شرح عت ذكر فيه ان الملك كلفه بانشاء برج . وقد اورد اسماء الآلهة عثتر وعم وانبـي وحوكم وذات صفتم وذات ظهرن وذات رحبن في مبدإ النفش كانما اراد التيمن والبسملة بهم .

٦ ــ نفوش حضرموتية عديدة يذكر فيها اصحابها خبر تقديمهم نذوراً للاله سين ليمنحهم العمر الطويل . والخير والبركة .

٧ ــ نقش دونه رجلان اسم احدهما عن ذم بن اب اتس وثانيهما رب ايل بن عزم لات من عشيرة مريهن ذكرا فيه انهما قدما الى معبد الاله سين ذ علم في شبوه سبعة تماثيل من الذهب حسب امر سيدهما الملك .

٨ ــ نقش سبئي دونه رجل اسمه شفق بن عم كرب لمناسبة تقديمه قرابين الى الاله عثتر ذ ذنين شكراً له لسقيه اراضي قبيلته سقياً مروياً في الخريف والربيع .

٩ ــ نقش تضرع كاتبه المجهول للآلهة بان تمن عليه بالصحة وان تباركـــه في نفسه وامواله وانتهـى بخاتمة معناها « بحق الاله تالب ريم » .

١٠ ــ نقش ذكر فيه ان رجلا اسمه ابو كرب قدم الى معبد ذ سموي في وترم اربعة تماثيل على هيئة ايل من الذهب لعافية جماله . وهذا عمل جديد وذو مغزى حيث كانت التقدمة تمثل المطلب المراد من الاله .

١١ ــ ومن هذا الباب نقش يذكر صاحبه خبر تقديمه تمثال بغل من ذهب الى ذي سموي ليمن على بغاله بالعافية .



حجر شاهـــد لقبر يمثل صوره امرأة كتب عليه ان اسمها غلت بنت مغدت وانها
تتوسل الى الاله عثتر بانزال الويل على من يغير الحجر عن موضعه

١٢ ــ نقش سجل اصحابه فيه شكرهم للاله فينان معبود قبيلة خسأ لانه ساعدهم واجابهم الى طلبهم ومن عليهم بالصحة والعافية .

١٣ ــ نقش دونه برج بن حب من همدان سيد حصن همرن ومن اقيال سمعى ذكر فيه خبر تقديمه هو واخوه الى الاله تالب ريم بعل ترعت تمثالا لخيرهما وسعدهما وخير قبيلتهما تنفيذاً لوحي هذا المعبود اليهما في معبده .

وفي هذا شيء جديد حيث يفيد ان الكهان كانوا باسلوب ما يبلغــون للمتوسلين بالآلهة ما يريدونه منهم من تقدمات كانه وحي منهم !

وقد صرفنا النظر عن ايراد نقوش كثيرة مماثلة خشية التطويل بدون طائل .

ـ ٤ ـ

ولقد كان للكهانة واوقاف المعابد وضرائبها حيز مهم في المجتمع اليمني على ما تفيده النقوش وكان الكهان نتيجة لذلك كأنهم دولة ضمن دولة بما كان يجبى اليهم من ضرائب وموارد وبما كانوا يسهمون فيه من اعمال ومشاريع عامة واقتصادية .

وفكرة المكربية تمثل الكهانة في ذروتها العليا حيث كان الملوك المعينيون والسبئيون والقتبانيون والحضرموتيون في البدء يتلقبون بلقب مكرب الذي كان فيــه معنى الرآسة الدينية والوسيلة التقريبية بين الآلهة والنــاس . وكثير منهم احتفظوا بلقب المكرب مع تلقبهم بلقب الملك لهذه الغاية . وكان غير الملوك من الاقيال والحكام يمارسون الزعامة الكهنوتية لهذا الاعتبار .

ولقد اوردنا في مباحث معين وسبأ وقتبان وحضرموت نقوشاً فيها دلالة على ما كان من مركز الكهان وضرائب المعابد ومواردها . وهناك نقوش اخرى من هذا الباب ايضاً . ومن هذه وتلك يستفاد :

١ ــ ان الملوك والامراء والاغنياء كانوا يحبسون على المعابد اوقافاً كثيرة وخاصــة من الاراضي الزراعية .

٢ ــ ان الضرائب الرسمية التي كانت تجبى من غلات الارضين تقسم الى ثلاثــة اقسام واحد للملوك وواحد للامراء والحكام وواحد للمعابد .

٣ ــ أن النذور التي كان الناس ينذرونها بطوعهم تصبح ديناً للآلهة واجبــة الأداء لمعبد الاله الذي نذرت له .

٤ ـ ان من الضرائب المخصصة للمعابد ما هو اختياري وتبرعي ويدعى اكرب ومنها ما هو اجباري ويدعى فرع او عشر . وهناك ضريبة تدعى عصم وهي ما يقدم للآلهة من زكاة ونذور وهبات عند برء سقم وزيادة غلة .

٥ ـ ان المعابد كانت تساهم في نفقات المشاريع العامة كاقامة الحصون والابراج وحفر الخنادق .

٦ ـ إنه كان للمعابد ضرائب على الارباح التجارية وبلغ احياناً عشر الارباح . وكانت المعابد تتقاضى حصتها احياناً عيناً .

ـ ٥ ـ

هذا ، ومن الجدير بالذكر ان القمر والشمس والزهرة كانت معبودات رئيسية في العراق والشام ومصر وسائر انحاء الجزيرة في مختلف ادوار التاريخ القديم ، وكانت الموجات العربية في العراق تسمي القمر سين والشمس شمشا والزهرة عشتار ، وكانت الموجات العربية في الشام تسمي الزهرة عشتروت اي انها كانت تماثل بالتسمية وبالعبادة مع جنوب الجزيرة على ما سوف نشرحه بعد مما يسوغ القول إن العبادة السماوية اصيلة في الجنس العربي وان وحدة الفكرة الدينية قائمة بين فروعه وان هذا مما يؤيد وحدة الارومة بين سكان الجزيرة ومهاجرها .

ولقد ذهب بعض الباحثين الى ان عبادة القمر والشمس اتت الى اليمن من بابل مع ان المقتضى ان يكون العكس هو الصحيح ما دام البابليون هم موجة عربية الجنس تمت الى جزيرة العرب على ما سوف نشرحه بعد . وعبادة المشاهد السماوية اشبه ان تكون من وحي طبيعة الجزيرة وسمائها ونجومها ولياليها كما هو المتبادر . وليس معنى تأخر دولة معين في البروز عن دول العراق الاولى انه لم يكن في اليمن دول قبلها ولم تكن عبادة سماوية في المهد الذي خرجت منه تلك الموجة كما لا يخفى . وللقمر خاصة اثر عظيم في حياة الجزيرة العربية الشديدة الحرارة حيث يكون لليل وللقمر الذي ينير ظلماته الاثر الاكبر في النفوس ولعل هذا هو سر جعل القمر الاكبر المعبود الاكبر . وقد قال بعض الباحثين إن العربية الجنوبية ارسلت موجات متعاقبة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي وصلت اليها واستقرت فيها . وهاجرت وقد

حملت معها كل ما تملكه من اشياء ثمينة وحملت فيما حملته الاله القمر (١) .

ويخطر بالبال في صدد العبادة السماوية والشركية والتعددية في اليمن ثم في مهاجر العرب الاخرى في التاريخ القديم ان الجنس العربي لا يعقل ان يكون اعتقد ان القمر والشمس والزهرة وغيرها من مشاهد السماء هي الخالقة البارئة المدبرة للكون . لأن ما اكتشف لهذا الجنس من مآثر في اليمن ومهاجرها منذ اقدم الازمنة يدل على انه لم يكن غبياً غباء يجعله يعتقد ان هذه المشاهد الكونية هي خالقة الكون وبارئته ومدبرته ، وان كل ما في الأمر انه كان يراها كعيون لقوة خفية عظيمة تكمن في الكون وتتجلى في الدرجة الاولى في السماء ، وانه كان يتعبد القمر والشمس والنجوم كوسيلة الى ماوراءها، لان الذهن البشري في ادوار حضارته الاولى كان ينصرف دوماً الى المشاهد المرئية ويتأثر بالمشاهد السماوية .

ومثل هذا يصح ان يقال بالنسبة للاصنام والاوثان والمعبودات المادية التي اتخذها العرب حيث لم تكن الا رموزاً وهيا كل مادية في الارض للقوى الخفية السماوية لبؤدوا عندها طقوسهم ويذبحوا قرابينهم جلباً لما يتوخونه من منافع ومطالب ودفعاً لما يخشونه من شرور واضرار . وتعدد الآلهة السماوية والمادية مرده في الغالب تعدد المطالب والحاجات واعتقاد العرب بضرورة جعل وسيلة خاصة لكل مطلب وحاجة كما ان فيه ما يعود الى شعور كل فريق او عشيرة او منطقة او مدينة الى حام خاص يحميهم ويكون لهم ملجأ ومرجعاً مع ملاحظة القوة الخفية العظمى الكامنة وراء ذلك كله .

ولعل مما له دلالة على هذا كلمة عربية الجنس كانت منذ القديم في مختلف اللهجات العربية القديمة بمعنى الاله وهي كلمة « ايل » التي تعني الرب او الاله في المعينية والسبئية والبابلية والآرامية والكنعانية والسريانية والعبرانية والتي يصح ان يقال انها الاصل الذي تطورت عنها كلمة « الاله » او « الله » في العربية الفصحى حيث وجدت هذه الكلمة بهذا المعنى في الآثار البابلية والكنعانية والفينيقية والسريانية والآرامية والعبرانية كما وجدت في السبئية والقتبانية والحضرموتية الخ . فالذي يتبادر الى الذهن ان هذه الوحدة في اللفظ والمعنى لا بد من انها تعني وحدة عامة في الفكرة وتقوم دليلا على وحدةالربوبية العليا عند الناطقين بها . ويجدر بالذكر الى هذا ان هذه الكلمة كانت تلحق بالاسماء في اللغات المذكورة جميعها ليكون فيها دلالة على الاعتراف بعبوديةاصحابها للالهوالاعتزاء

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٦٠ – ١٦١

اليه مثل كرب ايل وسعد ايل ويذكر ايل ويسمع ايل ويدع ايل وصدق ايل ويثع ايل وباب ايل ثم جبرائيل وعزرائيل وميكائيل واسرافيل واسرائيل الخ الخ.. مما قرىء في النقوش او ورد في المدونات القديمة .

وفي تقريرات القرآن عن مدى عقائد العرب الشركية والسماوية شيء غير يسير متطابق مع ما نقرره .

١ ــ ففي سورة يونس الآية التالية :

« قل من يرزقكم من السماء والارض ومن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون » ٣١

٢ ــ وفي سورة المؤمنون الآيات التالية :

« قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل افلا تذكرون . قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون الله قل أفلا تتقون. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون الله قل فأنى تسحرون .. ٨٤ ــ ٨٩

٣ ــ وفي سورة العنكبوت الآية التالية :

« ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون .. ٦٩

٤ ــ وفي سورة الزخرف الآية التالية :

« ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم » ٩

حيث تقرر هذه الآيات ان العرب المشركين كانوا يعتقدون بان الله اي القوة الخفية العظمى وراء الاكوان هو الذي خلق الاكوان وهو الذي يدبرها .

١ ــ وفي سورة يونس الآية التالية :

« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض سبحانه وتعالى عما يشركون .. ١٨

٢ ــ وفي سورة الزمر الآيات التالية :

« ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار .. ٢

حيث تتضمن هذه الآيات تقرير كون العرب انما كانوا يشركون مع الله آلهة اخرى

على اعتبار انهم شفعاء ووسائل قربى الى الله القوة الخفية العظمى .

وفي سورة فصلت الآية التالية :

« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس والقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم اياه تعبدون .. ٣٧

حيث تأمر المخاطبين بالسجود لله لا للشمس والقمر اللذين هما من مخلوقات الله كما يعتقدون اذا كانوا يعتقدون بالله ويعبدونه كما يدعون .

ولئن كانت هذه الآيات حقاً هي في صدد عقائد عصر النبي عليه السلام وبيئته فان هذه العقائد ليست طارئة كما هو المتبادر وانما هي متصلة بعقائد الآباء والاسلاف كما حكت ذلك عنهم آيات عديدة . مثل آية سورة سبأ هذه :

« واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم .. ٤٣

ومثل آية الزخرف هذه :

« بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون .. ٢٢

تنبيه

إن الصور المثبتة في هذا الفصل مقتبسة من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام تأليف الدكتور جواد علي باذن المجمع العلمي العراقي الذي طبع الكتاب على نفقته .

في شمال الجزيرة

اللحيانيون [1]

ذكرنا في مبحث الدولة المعينية ان سلطان هذه الدولة امتد من طريق البحر الاحمر وخليج العقبة الى الموقع الذي يعرف اليوم باسم معان والذي يرجح انه مقتبس من اسمها، ثم امتد حتى وصل الى العلا في اعالي الحجاز ، وانه كان في هذه المنطقة قبائل عرفت ببني لحيان كانت تخضع لهذه الدولة ، وصار يقوم على حكم المنطقة نواب عن الدولة المعينية من زعمائها يسمون « كبر » اي كبير وزعيم ، وهو اصطلاح يمني قديم على ما مر بيانه في اثناء الكلام عن الدول اليمنية .

ولقد وجدت نقوش كثيرة عرفت بالنقوش اللحيانية ــ لان فيها ذكر لحيان ــ في مكان يعرف اليوم بالخريبة في منطقة العلا في شمال الحجاز . ويظن انها خرائب عاصمة اللحيانيين التي كان اسمها ددان لى ما يستفاد من دراسة الاثريين .

ومعظم النقوش المكتشفة مع الاسم محطم ومشوه ، ويحمل كثير منها اسماء بعض زعماء لحيان ومشايخهم وآلهتهم ولكنهم على كل حال تنطوي على دلالة مهمة وهي المام كثير من بني لحيان بالقراءة والكتابة مما يهدم ما كان يقوم في الاذهان من انعدام من يقرأ ويكتب في الشمال او قلتهم قلة كبيرة .

ومن اسماء الزعماء والمشايخ التي قرئت على النقوش : هنيء بن اس بن شجر ولوزان بن هنيء بن اس وخمت قشم بن لوزان وتلمى بن هنيء اس وعبدان هنيء اس ومسعود هنيء وعترب بن اوس بن ثينل بن عيد ودآل هانيء حنكات وخلاس زيد ضريم بن بال ــ بعل ــ وسهم ايل وسلمان وثمام يعم وكرب ايل ، ومن اسماء آلهتهم التي قرئت كذلك اللت ومناة ويغوث وود وذو غبت ، واللمحة العربية بادية على الاسماء ومنها ما هو عربي فصيح يمكن ان يكون كتب في القرون الاخيرة قبل البعثة النبوية .

وبعض الاثريين يرون ان طريقة تدوين معظم الكتابات اللحيانية تشابه طريقة تدوين

---

(١) مرجع هذه النبذة تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣٠٥ - ٣٠٧ و ج ٣ ص ٤٢٦ - ٤٣٠

الكتابات العربية الجنوبية . ولعل ذلك نتيجـــة لما كان من سلطان المعينين على هـــذه الانحـــاء .

ومهما يكن من امر فان تشابه الاسماء والمعبودات اللحيانية واليمنية القديمة يدل على وحدة الارومة والجنس والافكار وبالتالي يدل على ما نبهنا عليه من ان عرب شمـــال الجزيرة وجنوبها ارومة واحدة مشتركة الخصائص افترقوا عن بعضهم بسبب ظروف الحياة وطبيعة الجزيرة مع احتفاظهم بالخصائص المشتركة .

ولقد جاء في نقش لتغلات تلاشر الثالث الاشوري انه غلب السبئيين (١) في سياق ذكره حملة له على البادية ومنطقة قبائل ثمود في طريق الحجاز فتسر الباحثون ذلك بان الكلمة تعني السلطات السبئية التي خلفت السلطات المعينية حينما غلب السبئيون دولة معين في جنوب جزيرة العرب . واسماء معظم زعماء وملوك او شيوخ بني لحيان تحمل لحـــة صريحة العروبة بحيث يصح ان يقال انهم تولوا الحكم قبيل الميلاد المسيحي على الاقل ، وينطوي في هذا احتمال تفلت بني لحيان من سلطان السبئيين او ممارستهم الاستقـــلال الذاتي في ظل سلطانهم ردحاً من الزمن .

وقد ذكر بيلنوس الكاتب الروماني اللحيانيين بصيغة **Lechueni** حيناً و **Lecanitre** حيناً حسب ما فسره الاثريون وقال عنهم إن بطوناً منهم كانت منتشرة بين ينبع وايله ــ ثغر على خليج العقبة ــ وفي داخل البلاد والعلا وهضبات خيبر وانه كان لهم جـــملة دويلات او مشيخات منها واحدة كانت مستقلة عاصمتها العلا . ثم قال انهم كانـــوا في القرن الاول بعد الميلاد تحت سيطرة الانباط .

والنقوش والمدونات تنبيء ان دولة الانباط في القرن الاول بعد الميلادكانت قويـــة وان سلطانها قد وصل الى الحجر ــ مداين صالح ــ على ما سوف نـــذكره في القسم الثاني ، فلا يبعد ان تكون بسطت سلطانها على اللحيانيين كذلك في هـذه الحقبة بشكل من الاشكال . ونرجح ان مشايخهم ظلوا يمارسون السلطان المحلي في نطاق الدولة النبطية الى ان زالت في اوائل القرن الثاني بعد الميلاد .

ولقد قلنا إن الاثريين يقولون استناداً الى دراساتهم ان عاصمة بني لحيان هي مدينـــة ددان . وقد ذكرت هذه المدينة في سفر حزقيال من اسفار العهد القـــديم الذي يرجح تدوينه في القرن الخامس او الرابع قبل الميلاد باسلوب يدل على الشهرة التجارية حيث

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وما بعدها

جاء على لسان حز قيال خطابه لصور « بنو ددان تجــارك . بطنافس الركوب ددان تاجرتك » .

ولقد ذكرت الكتب العربية اللحيانيين فقالت انهم سكنوا في شمال شرقي مكة وانهم ينتسبون الى لحيان بن هُذيل بن مدركه وانهم كانوا من احلاف قريش ومن بني عمومة هذيل التي كانت تنزل كذلك في شمال شرقي مكة . وعدهم الهمداني من بقايا جرهم . ويوجد الآن منازل لبني حيان في منطقة الحرم المكي على بعد اميال من مكة . وليس من البعيد ان يكون الذين تحدثت عنهم هذه الكتب من انسال اولئــك اللحيانيين ، وانهم انتقلوا قبل الاسلام او بعده الى ناحية مكة واختلطوا مع هذيل وصاروا يعــدون منهم غير انهم لم يكن لهم الشأن الذي كان لهم .

وقد ذكرت كتب السيرة (١) خبر غزوة للنبي لبني لحيان في السنة السادســة للهجرة وقالت انهم كانوا ينزلون مكاناً اسمه غران قرب مكة وانهم لما علموا بزحف النبي تمنعوا بالجبال ، كما ذكرت انه كان لهم قرية اسمها عسفان (٢) وهي كذلك قرب مكة .

ولقد سلكنا اللحيانيين في سلك حقبة ما قبل العروبة الصريحة مع ان استقلالهم كان في حقبة العروبة الصريحة وطابع العروبة بارز على كثير من اسمائهم بسبب كون تاريخهم متصلا بتاريخ الدولة المعينية .

الثمو ديو ن (٣)

ولقد وجدت كذلك في شمال الحجاز وفي الجهات التي تعرف اليوم بمــدائن صالح كتابات كثيرة عرفت بالكتابات الثمودية لان فيها ذكراً لثمود . وقد وجدت كتابات مماثلة لها في الخط واللهجة في اليمن ونجد ايضاً مما فيه الدلالة على انتشار الثموديين .

والكتابات التي وجدت قصيرة تتألف من كلمة او كلمات قليلة وعليها في الغــالب صور حيوانات الى جانب الكتابة ومعظمها كتب في امور شخصية . وعلى كل حــال

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٢٢

(٢) معجم البلدان لياقوت حرف العين .

(٣) مرجع هذه النبذة جواد علي ج ٢ ص ص ٣١٣ و ج ٣ ص ٤٣٠

فانها تنطوي على دلالة هامة في صدد الحالة الثقافية والدينيـــة التي كان عليها الثموديون وبنوع خاص على ان كثيراً من الثموديين كانوا يلمون بالقراءة والكتابة كاللحيانيين .

وبعض الاثريين يرجعون بعض الكتابات الى القرن السابع قبل الميلاد غير ان اكثر ما عثر عليه يرجع الى ما بعد الميلاد . وطابع العروبة الصريحة بارز عليه .

ومن اسماء الاشخاص التي قرئت على النقوش : « اوس » و « سعد » و « عيفر » و « ودائل » و « بارح » و « كرب ايل » و « ماللك » و « عذرايل » و « عـــوذ » و « اسعد » و « عيش » و « عياش » و « أياس » و « قيس » و « هلال » و «مهيب» و « ملهب » و « كعب » و « تيمت » و « سعـــدان » و « حـــزم » و « عطـــل » و « يعلى » و « على » . ومن اسماء الآلهة التي قرئت عليها « ود » و « شمس » و«مناة» و «كاهل » و « بعلت » و « يهوا » و « رضو اورض » .

وهذه الاسماء تمثل كما هو المتبادر ادواراً متنوعة منها مـــا هو عربي صريح فصيح ومنها ما هو عربي صريح قديم ؛ ومنها ما يتشابه مع الآلهة والاسماء اليمنيـــة في دور ما قبل العروبة الصريحة ومنها ما يتشابه مع الآلهة والاسماء الشمالية في دور العروبة الصريحة؛ مما يدل على انها متصلة بالقديم ومستمرة الى عهد متأخر ؛ ومما يدل كذلك على وحـــدة الارومة والفكرة والعقائد بين سكان الجزيرة في الشمال والجنوب معاً .

وهذه بعض نماذج من نصوص الكتابات الثمودية :

١ ــ هعلم لببى . والكتابة تشير الى علم وتعلن انه ملك لشخص اسمه ببى .

٢ ــ لتم يغث بن جشم هوعل . والكتابة تشير الى وعل وتعلن انـــه ملك لشخص اسمه يتم يغوث بن جشم .

٣ ــ لحزم ونشوق ال عمت . والكتابة تدون نشوق شخص اسمه لحزم الى عمته .

وقد وجدت كتابة طويلة نوعاً ما على مقبرة . وهذا نصها :

انه قبور صنعه كعبور حرثت للقص برت عبو منوتى امه دي هلكت في الحجر شتة ماه وشتين وترين بيرح تموز ولعن مرى علما من يشنا القبور دا ومن يفتحه حشى يـــلده ولعن من يغبر دا على منه . ومعنى الكتابة باللغة الفصحى هو : هذا القبر صنعه كعب بن حارثة للقيض بنت عبد مناة امه التي هلكت في الحجر سنة مئة واثنتين وستين من شهر تموز . وتعلن رب العالمين من غير هذا القبر من فتحه عدا اولادها ولعن من غير الذي

كتب اعلاه (١)

وقد ورد اسم ثمود في احــد نقوش سرجون الثاني الملك الاشوري الذي حكم في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد في جملة اسماء اقوام او قبائل عربية قال انه اخضعها واخذ الجزية منها وانها لم تخضع وتدفع الجزية لأحد من قبله (٢) . ولا يعــرف ما اذا كان سرجون وصل في زحفه الى منطقة مداين صالح او إنه اخضع بعض قبائــل من ثمود كانت تنزل في التخوم الشمالية من بلاد الشام .

والاقوام او القبائل التي ذكرت في نقش سرجون الثاني هي : خبايا وابابيــد ــ عباديد ــ ومرسمان .

وقد قال بعض الاثريين انها ممن كان ينزل في منطقة قريبة من خليج العقبــة . فاذا صح هذا فيكون القبيل الثمودي الذي اخضعه الملك الاشوري فريقاً من ثمود كان ينزل في هذه المنطقة .

ولقد ذكرت ثمود في القرآن اكثر من مرة في معرض التذكير والانذار كما ترى في الفصل التالي مثلا .

«كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون . اني لكم رســول امين . فاتقوا الله واطيعون . وما اسألكم عليه من اجر إن اجري على رب العالمــين . أتتركون في ما هنا آمنين . في جنات وعيون . وزرع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا الله واطيعون . ولا تطيعوا امر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا إنما انت من المسحرين . ما انت الا بشر مثلنــا فأت بآية إن كنت من الصادقين . قال هذه ناقــة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا تمسوها بسوء فيأخذهم عذاب يوم عظيم . فعقروها فاصبحوا نادمين . فاخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين » الشعراء ١٤١ ــ ١٥٩

ووصفوا في احد الفصول بانهم اصحاب الحجر كما ترى في الآيات التالية :

« ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضــين . وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً امنين » الحجر ٨٠ ــ ٨٢

---

(١) تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون ص ١٧٨ وما بعدها .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣١٣ و ج ٣ ص ٤٣٠ .

وقد ذكرت الحجر اكثر من مرة في الكتب اليونانيـــة بصيغ Hegra و Haegra و Egra . وقال بعض الاثريين انها احدى عواصم اللحيانيين . وانها في شمال الحجاز . والتقاليد الاسلامية تقول إن الحجر هي الموقع المعروف اليوم بمداين صالح في شمـــال الحجاز او قريبة منه . وفي هذه المنطقة آثار عمران قديم عجيب حيث نحتت المنـــازل والقبور في الصخور نحتاً متقناً يدل على المهارة والجلد ويصدق عليه وصف القرآن، حتى ليخطر بالبال ان اسم « الحجر » اسم وصفي للمدينة بسبب ذلك ؛ واللمحة العربية بادية عليه كما هو واضح . وكان اهل عصر النبي ﷺ وبيئته يرون ذلك في طريـــق رحلاتهم من الحجاز الى بلاد الشام ؛ ويعرفون بالتداول ان هذه المنطقة منازل ثمود قوم صالح ؛ وفي القرآن اشارة الى ذلك كما ترى في الآيات التالية :

« وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مسا كنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين . وقرون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موســى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين . فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » . العنكبوت ٣٧ ــ ٤٠

واذا كان لم يرد في النقوش الثمودية والمدونات القديمة الموثوقة ما يدل على قيـــام دولة ثمودية على نحو الدولة اللحيانية التي كانت قريبة لمنازل ثمود فان هذا لا يعـــني نفي قيام دولة ثمودية في هذه المنطقة قبل الميلاد المسيحي ، وقد يكون هذا النشاط والمهـــارة والذكر من القرائن على قيام مثل ذلك ، ولعل التنقيبات في المستقبل تؤيد هـــذا الرأي والاحتمال .

ولقد ذكر مؤلفو العرب ثمود . ولكن كلامهم عنهم يتسم في الاجمـــال بالسمة التي يتسم بها معظم كلامهم عن ما قبل دور العروبة الصريحة من مفارقات واغراب ومزج بين الخرافة والحقيقة القليلة التي تتصل بالآثار الراهنة . ومما قالوه عنهم انهم من العرب البائدة الذين ينبغي ان يكونوا قد بادوا قبل عشرات القرون من الميلاد المسيحي مع انهم ظلوا موجودين يحتفظون باسمهم الى ما قبل هذا الميلاد بقرون قليـــلة ، وظلت نقوشهم الى الآن شاهدة عليهم ، وظل بعض القبائل ــ كاللحيانيين ــ الذين كانوا يعيشون واياهم في وقت واحد محتفظين باسمهم ووجودهم الى البعثة الاسلامية ، وقصارى ما يمكن ان يكون ان الثموديين اندمجوا في قبائل اخرى فأهمل اسمهم القديم .

وكنموذج مما ذكروه عنهم ننقل ما جاء في مروج الذهب للمسعودي حيث قال إن ثمود هو ابن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وانه نزل هو واولاده ومن تبعه في الحجر بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي وديارهم في فج الناقة في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى ، وبيوتهم الى وقتنا هذا ابنية منحوتة في الجبال ورممهم باقية وآثارهم بادية ومساكنهم المنحوتة على قدر مساكن اهل عصرنا وابوابها صغيرة مثل مساكننا مما يدل على ان اجسامهم على قدر اجسامنا دون ما يخبر به القصاص عن عظم اجسامهم ، وانه أثر عن ثمود هذا الشعر :

انا الفتى الذي دعي ثمودا	يا قوم سيروا ودعوا الترديدا
لعلنا ان ندرك الوفودا	فنلحق البادي لنا العديدا
ان ابينا اليعرب الحميدا	وعاد ما عاد الفتى الجليدا

وانهم قد كان لهم في قديم الزمان ملك وان ملكهم الاول هو عاد بن إرم بن ثمود وقد امتد حكمه مئتي سنة ثم ملك بعده جندع بن عمرو وكان ملكه مئتين وتسعين سنة ، وان بعثة النبي صالح كانت في زمن هذا الملك .

ثم اخذ المسعودي يذكر هذه البعثة وما كان من مناوأة ثمود لنبيهم وتعجيزه وما كان من انغلاق الصخرة وخروج الناقة منها كآية من آيات الله الدالة على صدق رسالته وما كان من تآمر بعضهم عليها وعقرها وما كان من حلول عذاب الله فيهم وتدمير بلادهم .

وفي الشعر والاسماء ومدة الحكم تخليط او تحريف كما هو ظاهر .

هذا . وقد سلكنا الثموديين في سلك ما قبل العروبة الصريحة مع ما على كثير من الاسماء التي قرئت في النقوش من طابع العروبة الصريحة لان وجودهم كان ممتداً الى ما قبل بروز الشخصية العربية الصريحة .

التيمائيون (١)

ويوجد الآن في اعالي الحجاز وطريق يثرب ـ معان قرية اسمها تيماء ، وعلى مقربة منها خربة فيها احجار ضخمة مربعة يظن انها بقايا معبد قديم ، وقد استنتج الباحثون والاثريون من الاطلال الباقية انه كان في هذا المكان مدينة لا تقل ضخامتها عن الحجر.

وقد ذكر اسم تيماء في نقوش تاغلات بلاشر الاشوري الذي حكم في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد في جملة من ذكر فيها من المدن والقبائل العربية التي خضعت وادت الجزية له . وقد ذكر اسمها في سفري اشعيا وارميا من اسفار العهد القديم، وقد ذكرت في الاخير مع ددان ـ عاصمة اللحيانيين ـ وملوك البرية وارض عوص وأدوم ومؤاب وعمون وعيلام الخ .

وقد عرف من الآثار ان تبونيد الملك الكلداني البابلي الذي حكم من سنة ٥٥٥ الى ٥٣٨ ق م بعد بختنصر غزا هذه المدينة في سياق حملة جردها على ادوم ووصل اليها بعد سفر طويل شاق وقتل ملكها واهلها وابتنى لنفسه فيها قصراً كالذي في بابل واقام فيها بضع سنين ، حيث يدل كل هذا على انه كان في هذه المنطقة نشاط عربي وملك عربي يمتد الى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد كما هو شأن جيرانها الثموديين واللحيانيين . وقد قال الاثريون ان تيماء كانت ملتقى قوافل التجارة الغادية الرائحة بين الجنوب والشمال وان اهلها كانوا ماهرين في الاعمال التجارية ، وانهم دفعوا الجزية لتغلات بلاشر فدية ورغبة في الاستمرار على نشاطهم التجاري بعد ان وقعت جميع البلاد الشمالية تحت سيطرته .

ولقد كان في تيماء في زمن النبي عليه السلام جالية يهودية على ما يستفاد من كتب السيرة والتاريخ الاسلامي . والظاهر ان جماعة من اليهود الذين نزحوا من فلسطين في القرن الاول او الثاني بعد الميلاد فراراً من تنكيل الرومان قد حلت في هذه المدينة في جملة ما حل فيه اليهود النازحون من مدن الحجاز الاخرى وقراها ، حيث يستدل من هذا على ان هذه المدينة ظلت قائمة نشيطة في المجال التجاري استمراراً على ما كان شأنها قبل (٢) .

---

(١) مرجع النبذة العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣٠٥ و ٣٣٥ - ٣٣٦

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٤٤٢ وقد اورد ياقوت بيتاً طريفاً من الشعر القديم نثبته لهذه المناسبة :

الى الله اشكو لا الى الناس انني ... بتيماء تيماء اليهود غريب

الجرهيون او القريون [1]

ولقد ذكر الكتاب اليونانيون والرومانيون شعباً سموه الجرهيين Cereaic s وميناءهم Gerrka ونشاطهم باسلوب تنويهي قوي . وممن ذكرهم استرابون فقال ان هناك ميناء Gereka تقع على خليج عميق من خلجان الخليج العربي ــ الفارسي بيوتها مبنية بحجارة الملح واهلها يتاجرون بالطيب والمر والبخور . تحملها قوافلهم التي تسلك الطرق البرية والبحرية ، الى بابل ثم الى مدينة تاباسقوس Thapaecus التي خمنها الباحثون بانها مدينة الدير ــ دير الزور ــ او الميادين في حوض الفرات ومنها الى مختلف الانحاء .

وممن ذكرها قبل سترابون كاتب اسمه يوليبوس وآخر اسمه اغاثر سيدس وثالث اسمه ارتميدوروس من اهل القرنين الثاني والاول قبل الميلاد كما ذكرها بيلنوس من اهل القرن الاول بعد الميلاد مما فيه دلالة على ان نشاطها استمر امداً غير قصير من قبل الميلاد الى ما بعده .

وخلاصة ما اوردوه انها كانت مركزاً من المراكز التجارية الخطيرة وسوقاً من الاسواق المهمة في بلاد العرب وملتقى طرق القوافل الواردة من الجنوب والشمال ومرفأ تجارياً يستقبل مراكب وتجارة افريقية والهند والعربية الجنوبية ويعيد تصديرها الى مختلف الاسواق براً وبحراً، وقد صار اهلها من اغنى شعوب الجزيرة وصاروا يستعملون اواني الذهب والفضة ويزينون بيوتهم بالذهب والحجارة النفيسة ، وقد حرك صيت هذه الميناء وثروتها اطماع انطيوخوس الثالث احد ملوك الدولة السلوقية اليونانية التي قامت في بلاد الشام في اواخر القرن الرابع قبل الميلاد فجعلته يقود اسطوله في عام ٢٠٥ ق م فيقطع به نهر دجلة ثم الشط للاستيلاء على المدينة الغنية والحاقها بحكمه ، وقد ارسلت المدينة اليه رسولا يحمل رجاءها بألا يحرمها من نعمتي السلام والحرية فاستجاب الى الرجاء واكتفى منهم بفدية كبيرة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة .

وبعض الباحثين يخمنون ان مدينة العقير او العجير الحالية تقوم على تلك المدينة

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٤١٧ – ٤٢١

القديمة وبعضهم يخمنون القطيف . ولقد ذكر الهمذاني مكاناً او مدينة قديمـــة باسم الجرعاء وقال انها سوق كان يتبايع فيه العرب في منازل بني تميم بين البحرين والاحساء.

ولم تذكر الروايات طريقة الحكم في هذه المنطقة . والغالب انها كانت تحكم من قبل زعماء قبائلها القوية . وقد كان هذا شأن المناطق العربية الشمالية من جزيرة العرب قبل بروز الشخصية العربية وبعدها .

ولقد قال الاثريون إن هذا الميناء يقع على الخليج المقابل لجزر البحرين التي تبعد عنه خمسين ميلا والتي سنذكرها بعد قليل،ولقد كان العرب يطلقون اسم البحرين على الساحل المقابل لهذه الجزر ايضاً على ما يستفاد من الكتب العربية ، ويذكر اسم مدينة هجر على الساحل كعاصمة لامارة البحرين التي كانت تحت حكم زعماء بعض قبائل المنطقة القوية قبيل الاسلام على ما سوف نذكره في القسم الثاني . فما يخطر بالبال ان تكون هجر هذه هي جرها والتقارب الحرفي واضح بين الكلمتين .

قبائل وملوك ومدن اخرى
في نقوش الاشوريين [1]

- ١ -

لقد ورد في النقوش الاشورية التي ترجع الى القرن التاسع ثم الثامن ثم السابع اسماء قبائل عربية كانت تتحرك بين شمال الجزيرة الغربي ومشارف بلاد الشام كما ورد فيها اسماء ملوك وملكات من العرب كانت في هذه المناطق وكانت تندمج في الاحداث السياسية والحربية التي كانت تقع على مسرح بلاد الشام والعراق .

وليس في هذه النقوش تفصيلات تساعد على رسم صورة وافية لهذه القبائل والملوك، ولكنها على كل حال تسوغ القول بان هذه المناطق من شمال الحجاز الممتدة الى مشارف الشام كانت تمثل نشاطاً غير يسير في الحقبة التي نحن في صددها .

ففي نقش لسلمناصر الثالث في القرن التاسع اسم جنديبو ملك اربي Gindibu - Etribi وخبر اندماجه في جبهة ملوك الشام ضد آشور وتقديمه الف جمل او حجان . ويظن جواد علي الذي يذكر هذا النقش ان بلاد هذا الملك في منطقة من اطراف البادية قريبة من العمران .

وفي نقش لتاغلات بلاسمه الثالث في القرن الثامن اسم زبيبي Zabibi ملكة ارض اربي اي نفس الوصف الذي وصف به جنديبو . وقد قال النقش انها من جملة الذين دفعوا الجزية للملك . ومما ذكرته نقوش هذا الملك سمسي Samsi وهي ملكة عربية اخرى كانت خاضعة لاشور فحنثت بيمينها الذي اقسمت به على الاله شماش العظيم على ما يقول النقش وتمردت على أشور فسير عليها حملة استولت على مدينتين من مدنها واخذت تطاردها مما اضطرها الى طلب العفو بواسطته وقد ارسلته الى نينوى اسماء رجاله Jarapa وهو الرئيس وقد خرج جواد علي الاسم بكلمات يربع ويربوع او يرفع و Hatranu وقد خرجه بكلمة خاطر او خطر و Gambu وقد فسره بجناب او جنب و Tamranu وقد فسره بكلمة تمر وقد قبل الملك توبتها وتقاضى منها جزيـة ابلا ثم

---

(١) مرجع هذه النبذة تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وما بعدها .

ارسل مندوباً عنه ليقيم عندها ويراقب حركاتها واتجاهات شعبها ويرسل بذلك تقارير اليه . وقد ذكر النقش خسائر جسيمة منيت بها هذه الملكة وهي مئة الف رجل وثلاثون الف جمل وعشرون الف رأس من الماشية .

ومما ذكرته نقوش هذا الملك قبائل مسّا Masa وحطي Eatti وسبأ Saba وخيابا او حجابا Hajappa وبطنه Batna وادب ايل Idibeail وقالت انهـــا خضعت للملك ودفعت له جزية من الذهب والفضة والابل والطيوب ووصفت منازلها في النقش بانها بعيدة جداً في الغرب .

وقد فسر الاثريون هذه الجملة بالتوغل البعيد في البادية وقالوا عن سبا انها جاليـــة سبئية كانت في البلاد اللحيانية التي كانت خاضعة لليمن وقتاً ما على ما ذكرناه في المبحث السابق . وقالت عن القبائل الاخرى انها من القبائـــل التي كان ينعتها الاسرائيليون واسفارهم بالاسماعيليين والتي كانت بين اعالي الحجاز ومشارف الشام .

وفي نقش لسرجون الثاني في القرن الثامن كذلك اسم الملكة سمسى ايضاً ومعه اسم برعو ملك موسري Pir'w Mrsri ويثع امر السبئي وقال انه اخذ منهم الجزية .

وفي النقش اسماء عويـــده Cuaideu وبسطه Busti وغازي Agazi وامبانـــده Umbanda ودانانا Danana كأسماء مناطق وصلت اليها القوات الاشورية في عهـــد هذا الملك ووصفت بانها في مطلع الشمس .

وقد قال الاثريون ان موسري ارض في بلاد العرب وان المناطق المذكورة داخلة في ارض مملكة اربي . وحاروا في تعليل ورود اسم يثع امر السبئي . ومن المحتمـــل ان يكون قصد به الجالية السبئية في لحيان التي كانت في ذلك الوقت في حكم يثع امر ملك سبأ او تحت حكم امير منها هذا اسمه .

وهذا بالاضافة الى ما ورد في نقوش هذا الملك من اسماء ددان وثمود ومرسمان التي ذكرناها في بحث الثموديين .

وفي نقش لسنحاريب في القرن الثامن كذلك ورد اسم Jatie يطيعـــه ملكة اربي وبصقانو اخيها وقائد جيشها وقد اشار النقش الى حرب نشبت بـين قوات هذه الملكة وقوات سنحاريب وانتصار هذا عليها .

وفي نقوش هذا الملك ايضاً اسم الملكة تلخونو Telhunu ملكة اربي وخزائيـــل

ملك قيدرى . والثاني من ملوك البادية كما هو المتبادر . وقد نشب نزاع بينهما وبين الملك الاشوري وانهزما من امام قواته والتجأ الى قلعة Utbummata التي يظن انها دومة الجندل والتي هي في بادية الشام .

وفي نقش لاسرحدون ان سنحاريب اخضع ادومو معقل اريبي ـ والمرجح انه قصد ادوماتو او دومة الجندل ـ وحمل الهتها معه ـ اصنامهم او تماثيلهم ـ واسر ملكهم مع بنت له اسمه ثابو وان خزائيل ملك قيدر دفع فدية كبيرة وقدم هدايا عظيمة فرضي عنه اسرحدون ورد اليه اصنامه . ومما ذكر في نقوش اسرحدون ان هذا الملك عين الاميرة ثابو بعد ان تربت في البلاط الاشوري ملكة اريبي كما نصب شخصاً اسمه Waite ـ سماه جميل المدور في كتابه تاريخ بابل واشور (١) هويتع ـ محل حزائيل ملكاً على قيدر حينما توفي ، وان هويثع هذا تمرد على آشور فزحفت عليه القوات الأشورية فلم يكن له بها طاقة ففر متوغلا في البادية وان اسرحدون توغل في البادية ونكل بقبائل عربية كانت تنزل في ارض بازو وخازو وقتل فيها ثمانية ملوك وهم Kiau كيو ـ كيسو ـ ملك ايل بياتي Ilpiati وونبيتي Vapiate ومنسكو Mansku ملك مجلاني Magalani والملكة يافأ Iapa ملكة دخراني Dihrani وخبيصو Habisu ملك Dadabe قدباء ونيخرو Niharu ملك جعفاني Ga'pani والملكة بايلو Ba'ilu ملكة اخيلو Ihelu وخبا نمرو Habanamru ملك بداء Buda واسر خلقاً كبيراً من اتباعهم وحمل معه آلهتهم ـ اصنامهم ـ وان ليلى Laili ملك يادي Iadi تمكن من النجاة غير انه ذهب الى نينوى وطلب العفو فصفح عنه واعاد اليه اصنامه وعينه ملكاً على ارض خازو .

ويظن الاثريون ان هذه الممالك العربية هي في العربية الشمالية فيما بين مشارف الشام واعالي الحجاز . ومنهم من ذهب الى ان بازو هي نجد وخازو هي الاحساء .

وفي نقش لاسور بانيبال ان هويثع المار ذكره لجأ اليه حينما صار اليه الملك واسترضاه فرضي عنه واعاده الى مركزه واعاد اليه اصنامه التي منها اترسمائين او عثتر سمائين ، ولكنه عاد فانضم الى شمشوكين اخي اسور بانيبال في النزاع الذي نشب بينهما وايده بقوة ، وقام هو بهجمة على الحدود الغربية من اراضي بلاد الشام الخاضعة لاشور . فلما دارت الدائرة على شمشوكين ارسل اسور بانيبال قواته فنكلت بهويثع وغيره من المتآمرين مع اخيه تنكيلا شديداً .

وبعض الاسماء والاعلام تبدو عليه اللمحة ا[illegible]بية الصريحة . ولسوف نعود الى ذكرها ببيان اكثر في القسم الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله .

---

(١) ص ١١٦ - ١١٨ وهذا المؤلف يصف هويتع بانه ملك الحجاز وانه كان في يثرب وانه تآمر على ملك اشور اسور بانيبال مع اخيه شمشوكين فزحف عليه اسور وحاصره في يثرب وضيق عليه الخناق فلم يجد مناصاً من اعلان الخضوع وطلب العفو . وهو ينفرد بذلك دون سائر مؤرخي العراق .

مدن وموانىء وقبائل شمالية اخرى
في كتب اليونان والرومان القديمة

— ١ —

ولقـــد ورد في كتب اليونان والرومان القديمة اسماء عـــدد من مدن شمال الجزيرة وموانئها وقبائلها باسلوب يدل على ان هذه الاسماء كانت على شـــيء غير يسير من النشاط في القرن الاول بعد الميلاد ، مع التنبيه على ان اكثر الاسماء قـــد غلبت عليها الصيغة او التهجئة اليونانية حتى كادت تفقدها لحنتها العربية ، وحتى جعل ذلك الأثريين يحارون في تفسيرها ويختلفون فيه . وهذا شأن ما ذكروه من اسماء واعـــلام جنوب الجزيرة على ما نبهنا عليه قبل .

وها نحن نقتبس شيئاً مما كتبوه ونلحقه بهذا البحث وبه ان العروبة الصريحة اخذت تبرز حينما كتب هؤلاء المؤلفون كتبهم . لان المتبادر ان نشاط سكان هذه المناطق كان امتداداً لقرون عديدة سابقة عن زمن المشاهدة والتدوين .

— ٢ —

فما ذكروه جزيرة تقع على خمسين ميلا من خليج الجرهانيين في الخليج العربي الفارسي سماها بعضهم تيروس Tyros وبعضهم Tylus واخرى بجانبها سموها اردان Ardan ، وقالوا عن الاولى انها معروفة مشهورة بكثرة لؤلؤها وان فيها مدينـــة تسمى باسمها ، وان القواد الذين ارسلهم اسكندر المكدوني لاستكشاف جزيرة العرب قد نزلوا فيها ، وانها ذات مياه وثمار وزراعة منها القطن ، وان فيها معابد قديمة يقال انها بقايا معابد فينيقية وان اهلها يقولون ان اسماء جزرهم ومدنهم مثل اسماء الاماكن الفينيقية ، وقد وجد فيها مقابر تشبه مقابر الفينيقيين كما عثر فيها على حلي ذهبية وخرز وحجارة نفيسة للزينة ، وقد خمن الباحثون ان الجزيرة الاولى هي جزيرة البحرين اليوم والثانيـــة هي جزيرة المحرق ، وقالوا إن هذه المنطقة كانت المرحلة الاولى للفينيقيين قبل قدومهم الى السواحل الشامية . ويلحظ شيء من التشابه في التسمية فمدينة صور الكنعانية الفينيقية على الساحل الشامي كانت تسمى Tyr واسمها اليوم متطور عن هذا الاسم ، وفي مياه البحر

المتوسط القريبةمن هذا الساحل جزيرةاسمها ارواد كانت من جملة منازل ودول الفينيقيين. والتشابه بين اسمها واسم Aradan ظاهر .

ولقد ورد في نقوش **سرجون** الثاني الاشوري اسم دلمون Tilmon في سياق ذكر الانحاء التي غزاها هذا الملك ، وقال الآثريون انها البحرين او السواحل المواجهة لهـــا وانها اشتهرت بثمارها ومعادنها واخشابها ، وانه كان يقوم فيهـــا مملكة وملوك ، حيث يدل هذا على ما كان لهذه المنطقة من نشاط ممتد الى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد .

ومما ذكروه جزيرة اخرى اسمها ايكارم Icaeum من جزر الخليج العربي ــ الفارسي، وقالوا انها تبعد عن الساحل الجنوبي للعراق مئة وعشرين ستادة وأنها مغطاة بالغابات الكثيفة وفيها ضريح مزار يؤدي الناس عنده عبادتهم اليومية . والصيد فيها محرم تحريماً دينياً ويسير العنز الوحشي فيها بكل حريته بسبب ذلك ويخمن الباحثون ان هذه الجزيرة هي الجزيرة المعروفة اليوم باسم شرارة .

ثم ذكروا بعد هذه الجزيرة خليجاً سموه Capuas تنزل فيـــه قبائل الابوقيـــون Abukaisn والخطائيون Chattaei والجلوبيون Gaulopes ، ويظن بعض الباحثين ان الخليج المذكور هو خليج القطيف وان الابوقيين هم اصل الاسم الذي صار عبد القيس وهم القبائل التي كانت صاحبة القوة والسلطان في هذه المنطقة قبل الاسلام .

ومما ذكروه انه يقطن في السواحل المواجهة لجزر Tyros و Arand قبائل عديـــدة سموا احداها Nochaeti التي يمكن ان تكون النشاطي او النخاطي وثانيـــة Zurayi التي يمكن ان تكون الزراري وثالثة Borgadi التي يمكن ان تكون البراغده ثم يأتي بعـــدهم اراضي Cattarrei واعرافها وهي المنطقة المعروفة اليـــوم باسم قطـــر على رأي بعض الباحثين .

وذكروا بعد هذا جملة مدن منها Batrasablu التي يمكن ان تكون بيت رصافـة او بيت رصابا و Amana و Hamana و Attana ، وقد قال بعض الباحثين ان هــــذه المدن واقعة بين النهاية الجنوبية لشبه جزيرة قطر ورأس الخيمة في فم الخليج العربي وان Attana هي مدينة الخطيين وان Amana تعني بلاد عمان ومما قالوه عن Amana انهـــا كانت تتمتع بشهرة واسعة في عالم التجارة وان التجار كانـــوا يقصدونها اكثر من اي ميناء آخر يقع على هذا الساحل .

ثم ذكروا ميناء سموه Moscha Portus وقالوا إنه من الموانىء الشهيرة ، وهو ميناء

مسقط على ما فسره الاثريون ، ثم ذكروا بعض القبائل التي كانت تقطن في المناطـق المذكورة فسموا احداها بالامبياراتي Epimaranite وثانية بالاشتوفاجي Ichtyphagi وثالثة بالباتيمي Lathymi ورابعـة بالقادي Cadaei ، وخامسة بالابيتامي Epitami وسادسة الكساني Latami وسابعة بالتالودي Talodi (١) .

— ٣ —

والذي اوردناه عائد الى الانحاء الشرقية الشمالية من الجزيرة . اما الانحاء الغربيـة الشمالية منها فمما ذكره الكتاب الرومان واليونان القدماء ميناء على البحر الاحمـر سموه Lu e kome الى المدينة البيضاء وقالوا انه من اهم الموانيء التجارية على سواحل الحجاز في عهد البطالسة تتجه منه السفن الى الساحـل المصري لتفرغ شحنتها فيـه فتنقل اما بواسطة القوافل او السفن من القناة المحفورة بين البحر الاحمر والنيل وتتابع طريقها الى موانيء البحر المتوسط ، وكانت تصل اليها من بطرا قوافل ضخمة جداً كأنهـا قطع كبيرة من الجيش فتحمل منها غلات البحر الاحمر والبحر الهندي وتنقلهـا الى اسواق الخليج العربي الفارسي والعراق والشام ، وقد ظل هذا الميناء مزدهراً الى ما بعد الميلاد بقليل ثم افل نجمه واهمل الكتاب ذكره ، ويعلل الباحثون ذلـك بتحول خطوط سير السفن في البحر الاحمر بعد استيلاء الرومان على مصر .

ويرى بعض الباحثين ان هذا الميناء هو الحوراءوالحوراء من المواقع العربية الساحلية القديمة التي ذكرتها الكتب القديمة العربية ؛ وقد وجدت فيها آثار عمران كثـيرة على ما ذكرته هذه الكتب . وبعض الباحثين يرون انها المويلح ، وهي اليوم قرية ساحليـة في جنوب المدينة فيها بساتين ومزارع ونخيل ولها طريق قوافل الى المدينة والى تبوك .

وقد ذكر هذا الميناء استرابون بمناسبة ذكره حملة اوليوس غالوس التي سيرها القيصر اوغسطوس على جزيرة العرب على ما سوف نذكره في القسم الثاني من هـذا الجزء ، وقال ان الحملة نزلت في هذا الميناء واحتلته وانشأت فيه دائرة لجباية المكس من السفن والتجار وتقاضت قيمة ربع اثمان البضائع الواردة مكوساً .

ومما ذكروه ميناء Nera الذي يظن الباحثون انـه ينبع البحر ، وميناء Lambie

---

(١) مرجع هذا البحث العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٤٢١ و ج ٣ ص ٢٩٣ وما بعدها .

التي يظن الباحثون انه ينبع النخل ، وقالوا عن هذا إنه ميناء شهير مريح وامين وبـه مياه عذبة ويصب فيه نهر واسع في وسطه جزيرة بها مياه غزيرة صالحة للشرب والزراعة، ويأتي بعد هذا الميناء في كلامهم خليج فيه تل عليه ثلاثة معابد مرتفعة لآلهة مشهورة عند اهل البلاد ، يأتي جبل سموه Chabinus وشعب سموه Dabae وقالوا إن هـذا الشعب يعتني بتربية الابل ويعيش على البانها ولحومهـا ويستخدمها في تنقلاته ، وإنه يخترق ارضهم نهر يحمل مع مياهه تراب الذهب ولكنهم لا يعرفون استخلاص الذهب منـه فيذهب الى البحر مع المياه ولا يسمحون للغرباء بالنزول عندهم، وقد خمن بعض الباحثين موقع الجبل بين موقعي الليث وقنفذه في بلاد العسير وشعب ربما بقبيلة زبيـد او بقبيلة طيبة وكلتاهما من قبائل المناطق الشرقية الشمالية القديمة .

وقد ذكروا بعد Dedac اسم شعبين او قبيلتين اخريين وهما الليلي Alilaei والغازاندي Gasandi وقالوا إن بلادهم مرتفعة وفيها هضاب تتساقط عليها الثلوج احيانـاً وانها مخصبة بالفواكه والقمح ، وغنية بالذهب يستخرجونه صافياً وقطعاً صغيرة وهو وفير يتزينون به ويبعونه بثمن بخس ويبادلون به الحديد والبرنز وزناً بوزن لقلتهما عندهم .

وقد خمن بعض الباحثين بان هذه المنطقة من مناطق بلاد عسير التي اشتهرت بمناجمها الذهبية .

ومما ذكروه مدينة adani التي خمنها بعض الباحثين بكديد الواقعـة قرب مكة و Carmon التي خمنها بعض الباحثين بقرب المنازل قرب مكة كذلك و Mariba التي خمنها بعض الباحثـين بمكـة و Phoda التي خمنها بعض الباحثـين بفتق القريبـة من الطائف ، وقـد ذكر واحد منهم اسم Maroraba وخمنـه بعض الباحثـين انـه اسم مكة كذلك وقـال إن الاسم العربي يحتمـل ان يكـون مكربة او مقربة بمعنى المكان الذي يتقرب فيه الى الله ، وكلمة مكرب في اليمن كانت تدل على معنى الزعامة الدينية . وليس من المستبعد ان يكون اسم مكة تطوراً عن هذه الكلمة . ولم يرد فيما ذكروه اسماء يمكن تخريجها بالطائف او يثرب او جده وهو عجيب لان هذه المدن كانت قائمة على الارجح حينما كتب هؤلاء الكتاب كتبهم . ولقد جاء اسم «يثربو» في احد النقوش الاشورية ، وفي هذا دليل حاسم (١) .

---

(١) مرجع هذا البحث العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣٧٨ وما بعدها و ج ٣ ص ٢٩٣ وما بعدها .

الاسماعيليون ومكة والكعبة

ولقد ورد ذكر الاسماعيليين في اسفار العهد القديم اكثر من مرة حيث جاء في سفر التكوين ان قافلة تجارية من الاسماعيليين كانت قادمة الى فلسطين من شرق الاردن بطريقها الى مصر هي التي اشترت او اخرجت يوسف من الجب وباعته في مصر .. ويصادف وقوع هذا الحادث للقرن التاسع عشر قبل المسيح . وقد جاء في سفر الخروج ان الاسماعيليين حاربوا اليهود في شرق الاردن في جملة من حاربهم بعد خروجهم من مصر واتجاههم نحو فلسطين . ويصادف هذا القرن الثالث عشر قبل المسيح . وقد ذكر نقش من نقوش بختنصر ملك بابل انه اكتسح جزيرة العرب وغلب الاسماعيليين .

والتفسيرات اليهودية تقول ان الاسماعيليين هم انسال اسماعيل بن ابراهيم . وقد جاء في سفر التكوين ان ابراهيم اسكن اسماعيل وامه في برية فاران وانه ولدله اثنا عشر ولدا . وهذه التفسيرات تقرر ان هذا الموقع في شبه جزيرة سيناء وقريب الى العقبة ، وتفيد الى هذا ان ابناء اسماعيل وهم نبايوت وقيدار وادب ئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسّا وحدد وتيما ويطور وتافيش وقدمة اصهروا الى القبائل العربية المجاورةلهمواختلط نسلهم بهم .

ومن التقاليد التي كان الحجازيون العدنانيون يتداولونها قبل الاسلام ان ابراهيم انما انزل اسماعيل في وادي مكة وان اسماعيل اصهر الى قبيلة جرهم العربية واندمج فيها فكان من هذا الاندماج والتزاوج القبائل التي تنتسب الى عدنان والتي كانت منتشرة قبل الاسلام في الحجاز ونجد وتهامه ، منها من كان يعيش عيشة الحضارة ويسكن القرى والمدن ويزرع ويتجر ومنهم من كان يعيش عيشة البداوة والتنقل ويعيش على الانعام .

ومن المحتمل ان يكون اصل هذه التقاليد جاء الى العرب قبل الاسلام من الاسرائيليين اليهود الذين حلت جاليات منهم في يثرب وضواحيها قبل الاسلام ببضعة قرون حينما ضربهم الرومان في فلسطين وشردوهم عنها بقصد التقرب الى العرب وكسب ثقتهم باعلامهم انهم يمتون الى أب واحد هو ابراهيم والد اسماعيل ابي العرب واسحق ابي بني اسرائيل .

ومن التقاليد التي كان يتداولها الحجازيون قبل الاسلام والتي من المحتمل ان يكون اصلها من بني اسرائيل كذلك ان ابراهيم واسماعيل هما اللذان بنيا الكعبة بيت عبادة

لله ، وان حرمة الكعبة ومنطقة مكة وتقاليد الحج وطقوسه المتنوعة في هـذه المنطقة من سنن ابراهيم (١) .

والنصوص القرآنية وتفسيراتها تؤيد هذه التقاليد اجمالا كما ترى في النصوص التالية التي وان كان اسلوبها اسلوب وعظ وتذكير وتنويه فان فيه ترديداً لما كان يتداوله السامعون ويعرفونه جرياً على الاسلوب القرآني في القصص :

١ ـ واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم .. البقره ١٣٤ ـ ١٣٩ .

٢ ـ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين .. آل عمران ٩٥ ـ ٩٧

٣ ـ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم . ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا انك تعلم ما

---

(١) في آيات سورة البقرة (١٤٠ ـ ١٥٠) التي احتوت تنديداً باليهود لدسائسهم بين المسلمين في ظروف تبديل سمت القبلة من المسجد الاقصى الى الكعبة آية جاء فيها « وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربك وما الله بغافل عما يعملون » حيث ينطوي فيها تقرير كون اليهود يعرفون الحق في افضلية الكعبة واقدميتها وكون استقبالها صواباً عند الله . وقد يفيد هذا انهم كانوا يتحدثون الى العرب قبل الاسلام بفضائل الكعبة وقدمها وصلتها بابراهيم واسماعيل وابوة ابراهيم للعرب ايضاً .

نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء . الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق إن ربي لسميع الدعاء . ابراهيم ٢٥ ــ ٣٨

٤ ــ واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . الحج ٢٦ / ٢٩

٥ ــ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس . الحج ٧٨

ويلفت النظر بنوع خاص الى ما ذكرته آيات البقرة وآل عمران عن مقام ابراهيم حيث عنت ان هذا المقام هو علامات واضحة معروفة للناس في فناء مكة وان الناس كانوا يتداولون قبل نزول القرآن انها من آثار ابراهيم . ولعل ذلك قد اتاهم من اليهود ايضاً .

ونحب اني نستدرك امراً . فنحن اذ نقول إن من الممكن ان يكون اصل هذه التقاليد قد جاء الى العرب قبل الاسلام من اليهود لا ننفي صحتها ما دامت متطابقة اجمالا مع القرآن .

وعلماء الكتب المقدسة والباحثون يقدرون وجود ابراهيم واسماعيل حوالي القرن العشرين قبل الميلاد المسيحي وهذا يعني ان الكعبة ومكة وجدتا في مثل هذا العهد السحيق في القدم . ولقد اشار ديودورس الصقلي من اهل القرن الاول قبل الميلاد الى الكعبة في سياق كلامه عن الانباط حينما قال « ووراء ارض الانباط بلاد فيها هيكل يحترمه العرب كافة احتراماً كبيراً (١) حيث يدل هذا على تقدم وجود الكعبة على زمنه مدة طويلة وما كان لها من احترام شامل ويتبع هذا تقدم وجود مكة ايضاً .

وقد قلنا قبل قليل إن الباحثين خمنوا ان المدينة التي سماها الكتاب اليونانيون

---

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٢٤٤

Macoraba هي مكة وان الاسم متطور من كلمة مكربة التي تعنيها التهجئة اليونانية = مقوروبا = وان الكلمة تعني المكان الذي يتقرب فيه الى الله وهو تخمين معقول يؤيده التماثل القريب بين كلمتي مكة ومكربة . وكلمة «مكرب» استعمال ديني قديم منذ عهد الدولة السبئية الاول الذي يرجع الى الف او اكثر قبل الميلاد المسيحي ، وهذا يؤيد قدم مكة وبالتالي قدم الكعبة السحيق ؛ ويلفت النظر الى وصف العتيق الذي وصفت به الكعبة آية الحج (٢٩) التي اوردناها آنفاً ، والذي هو ترديد لما كان معلوماً مسلماً به من السامعين ، والذي لا بد من ان يكون بسبب قدم سحيق لا يكاد يعرف اوله .

ونقف عند هذا الحد من التعليق ، ونقول فقط إن النفس لا ترتاح الى الروايات العربية والتفسيرات العربية التي تعزو جميع القبائل التي يشملها اسم العدنانيين او جميع العرب الى اسماعيل بن ابراهيم ، وليس من الضروري ان يكون من قبيل التصميم في مقام التخصيص مما هو مألوف في النظم القرآني. وكل ما يمكن ان يكون هو ان اسماعيل تزوج بامرأة عربية في وادي مكة واندمج هو ونسله في قبيلة هذه المرأة .

ملك العماليق وجرهم في الحجاز

وتتحدث الكتب العربية عن ملك لجرهم والعماليق قام في مكة في ذلك العهد السحيق في القدم . وكلامهم ادخل في باب التخريف منه في باب التاريخ . فالاسماء عربية فصحى والشعر المروي عربي فصيح بينما كان الوقت قبل الميلاد المسيحي بقرون عديدة تزيد على العشرة .

فما رواه المسعودي مثلا ان ثابت بن اسماعيل هو اول من تولى امر البيت ثم غلبت جرهم ابناء اسماعيل وتولوا الأمر ، وان اول من تولاه منهم الحارث بن مضاض ، وكان ينزل في الموقع المعروف اليوم باجياد الذي سمي من ذلك اليوم بهذا الاسم لان الجياد جالت فيه ، وكان الى جانبه ملك العماليق السميذع بن هود بن حدر بن ماذن بن قنطورا وكان ينزل في الموقع المعروف اليوم بقيقعان والذي سمي من ذلك اليوم بهذا الاسم لان السلاح قعقع فيه ، وكان كل منهما يعشر من دخل مكة من ناحيته ثم اختلفا واقتتلا وغلب العماليقي فصارت جميع الولاية له ، ثم غلبهم الجراهمة عليها وظلوا يتولونها ثلاثمائةسنة ، وكان آخرهم الحرث بن مضاض الاصغر بن عمرو بن الحارث بن مضاض الاكبر ، ثم بغت جرهم في الحرم وطغت حتى فسق رجل منهم في الحرم بأمرأة فمسخهما

الله حجرين وبعث على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم، وكان ابناء اسماعيل قد كثروا وقووا فغلبوا اخوالهم واخرجوهم من مكة ، ثم صارت ولاية البيت الى بني رباد بن نزار بن معد ثم لبني مضر بن نزار .

وقد اورد المسعودي بيتين من الشعر لعمرو بن الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمي في ذلك وهما :

وكنا ولاة البيت والقاطن الذي	اليه يؤدي نذره كل محرم
سكنا بها قبل الظباء وراثة	لها عن بني هي ّبن بنت بن جرهم

ونكتفي بهذه النبذة لان ما جاء في الكتب العربية لا يخرج عن نطاقها ولا يفيد تاريخاً بالنسبة للحقبة التي نكتب عنها .

ولقد قلنا إن سفر التكوين ذكر خبر قدوم قافلة تجارية من الاسماعيليين الى فلسطين في طريقها الى مصر فاذا صح تفسير العرب بان كلمة الاسماعيليين تعني العدنانيين او بعضهم وهذا لا يتناقض مع المنطق فيكون فيما ذكر دلالة مهمة على نشاط تجاري في هذه المنطقة منذ الفي سنة قبل المسيح .

ولقد عرف معرفة يقينية في دور العروبة الصريحة انه كان في الحجاز وخاصة في مكة نشاط تجاري عظيم ، وان قوافلهم التجارية كانت تأتي الى بلاد الشام وحوران والبلقاء وفلسطين وتمر منها الى مصر مما فيه مشابهة لما حكي عن قوافل الاسماعيليين التجارية ، ومما يمكن ان يسوغ القول إنه لا يبعد ان يكون امتداداً لنشاط قديم مماثل . واذا صح هذا وهو في اعتقادنا غير خال من الصحة فانه يعني كذلك ان عرب الحجاز كانوا على حظ غير يسير من الحضارة منذ الازمنة القديمة كما هو شأن جنوب الجزيرة وشرقها ، ونرجو ان يتاح للمختصين من العرب وغير العرب التنقيب فيها والعثور على ما يجلو كثيراً من آثار ذلك الحظ والنشاط .

كلمة وجيزة عن العقائد والافكار الدينية

في شمال الجزيرة

لقد نبهنا على ما هناك من تماثل بين اسماء المعبودات الثمودية واللحيانيـة واليمنية واستدللنا منها على التماثل في العقائد والافكار الدينية بين سكان اعالي الحجـاز وسكان جنوب الجزيرة .

ولقد عرف معرفة يقينية ان بين المعبودات الحجازية في دور العروبة الصريحـة قبل الاسلام اسماء مناة واللاة وهذان المعبودان من اسماء المعبودات اللحيانية والثمودية على ما تفيده النقوش التي ترجع الى بضعة قرون سابقة عن الاسـلام حيث يمكن ان يستدل من ذلك على ان هناك تماثلا وتشاركاً في العقائد والافكار الدينية بين اللحيانيين والثموديين والحجازيين ويسوغ القول إن العقائد والافكار الدينية في شمال الجزيرة ليست خارجـة عن نطاق ما كان منها في جنوب الجزيرة .

ولقد اوردنا آيات قرآنية عديدة في خاتمة بحث العقائـد الدينية في جنوب الجزيرة فيها صور لما كانت عليه العقائد والافكار الدينية في عصر النبي عليه السلام وبيئته وهي شمال الجزيرة ، ونبهنا على ما فيها من تماثل في ذلك بين شمال الجزيرة وجنوبها ، وعلى اتصال ذلك بالاجيال السابقة لعصر النبي عليه السلام وتجاوزه الى غير بيئته . وواضح ان ما في هذه الآيات من صور ودلالات وارد من باب اولى في مجال الكلام عن العقائـد والافكار الدينية في شمال الجزيرة .

تنبيهان

هذا ، وقبل ان ننتهي من هذا البحث ننبه الى امرين :

الاول : انه لا يوجد في النقوش المكتشفة والمدونات القديمة ما يدل على انه قام في شمال الجزيرة في دور ما قبل العروبة الصريحة دول شاملة السلطان قويـة النشاط في المجـال السياسي والحربي والعمراني كما كان ذلك شأن جنوب الجزيرة ، وان كل ما كـان من

امر قيام دول او امارات او مشيخات لم يكن سلطانها يتجاوز المدينة التي تكون عاصمة لها وما حولها من قرى وقبائل ، وان الروايات والتقاليد العربيـــة ايضاً لا تحتــوي ما يتناقض مع هذا مع واسع مبالغاتها وخيال قصصها . ومرد هذا فيما يتبادر لنا طبيعة هذا القسم الجغرافية ، فهو مترامي الاطراف كثير المفاوز والصحارى المعطشة قليل المياه ، شديد الحرارة ، وكان العمران والنشاط يقوم في مناطق غير مترابطـــة ببعضها اشبه بواحات منها ببلاد متجانسة مترابطة ، وهذا عكس الجنوب الذي كان اكثر مياهـــاً واحسن مناخاً واضيق مساحة واكثر ترابطاً وتجانساً .

اما الامر الثاني فهو ان اللمحة التطورية في الاتجاه نحو العروبة الصريحة واللغة الفصحى بادية على كثير من الاسماء والصيغ الواردة في النقوش المكتشفة في الشمال كمـــا هو الامر بالنسبة للجنوب بقطع النظر عن ركاكة الصيغة اليونانية التي شابت الاسماء التي ذكرها الكتاب القدماء ، ومع ذلك فان هذه الركاكة لم تفقد هذه الاسماء لحمتها العربيـــة وان كانت شوهتها .

من مواجع هذا الجزء :

تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ و ٢ = العرب قبـــل الاسلام جرجي زيدان = تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون = تاريخ العرب لحتي = الاساس في اللغات السامية والأمم السامية للابراشي ورفقاه = تاريخ الاسلام لكايتاني الترجمة التركية = طبقات ابن سعد الكبرى = معجم البـــلدان لياقوت = مروج الذهب للمسعودي = تاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد = القرون القديمة لبريستيد = اسفار العهد القديم = تاريخ سورية للدبس = تاريخ الطبري = الكافي في تاريخ مصر لشارويم = تسريح الابصار للاب لامانس = التاريخ الكبير بالتركي لاحمـــد رفيق ج ١ = تاريخ السودان لحسن كمال = الاثر الجليل لسكان وادي النيل لاحمد نجيب = الحضارة المصرية لغوستاف لوبون = تاريخ مصر قبل الفتح وبعده لسفيدج والاسكندري ج ١ = تاريخ حضرموت لصلاح البكري = مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة طـــه باقر = محاضرات في تاريخ العرب للدكتور صالح احمد العلى .

فهرست